روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

3

ما وراء الطبيعة

د. أحمد خالد توفيق

www.liilas.com/vb3
MMAH99

الأبجدية السَّرية

روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة
www.liilas.com/vb3
MMAH99

الأبجدية

د. أحمد خالد توفيق

الأبجدية قد تكون لعبة ، وقد تكون لعنة حسب موقعك من الحياة .. ما يفعله القط مع الفأر هو نوع من التسلية الممتعة بالنسبة للقط ، بينما هو قمة السادية المتوحشة بالنسبة للفأر .. فقط يحدد الأمر على ما إذا كنت قطًا أم فأرًا .. الأبجدية قد تكون كائنًا ، وقد تكون باقة مسلية من القصص القصيرة .. الأبجدية هي لعبة بالساعات والحروف .. قد تمتعك وقد تثير جنونك ، لكنها تستحق الاهتمام حتمًا ، خاصة إذا ما كان بطلها العجوز (رفعت إسماعيل) ..

الثمن في مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع والتصدير والاستيراد

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

•

ما وراء الطبيعة

روايات تجمع الأضداد
من لمزة الغموض والرعب والإثارة

•

إشراف

الأستاذ / أحمدي مصطفى

•

جميع حقوق الطبعة محفوظة للناشر سواء
النشر الورقي أو الإلكتروني . وكل
اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع
أو نشر ورقي أو إلكتروني دون
الحصول على تصريح كتابي من
الناشر يعرض المرتكب للمساءلة
القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - الصفوف 8 ، 10 شارع شعلة
الصناعية بالمنيرة - شقة فيو 13 ، 14 شارع فتحي شعلة - شارع الإسعاف - بولاق فيو
بولاق مصر القديمة - القاهرة - ت : 5861137 - 5804851 - 5813772 - فاكس : 5861137 (20-2) - ج.م.ع
الإسكندرية 4 شارع جانو / سموحة - ت : 03/4878858 - 03/4070840

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

3

ما وراء الطبيعة

الأبجدية

يقدم : د. أحمد خالد توفيق

الغلاف بريشة : أ. أحمد شوقي

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

www.liilas.com/vb3
WAHGG

المقدمة

هذا هو الكتاب الخاص الثالث من سلسلة (ما وراء الطبيعة) .. لم أتعمد قط أن يكون الإصدار سنوياً ولا نية لي في ذلك ، إنما هو ما تجود به القريحة من أفكار .. وحتى اللحظة الأخيرة ما زال احتمال ألا يلحق هذا الكتاب بمعرض الكتاب قائما .. بالنسبة لهم في المؤسسة معرض الكتاب قد بدأ فعلاً ، والأمر يشبه من يبتاع ثياب الإحرام ويقصد المطار يوم وقفة (عرفات) ..

ليس هناك من يطالبني بكم معين من الأعداد الخاصة .. إن التمسك بكم معين هو الطريقة المثلى كي يخرج الخبز من الفرن نيئاً أقرب للعجين ، ويخرج اللحم غير تام النضج ، وتخرج القصص مسلوقة غير مكتملة .. ولهذا السبب قد تصدر ثلاثة كتيبات خاصة في عام واحد ، أو يصدر كتيب كل ثلاثة أعوام .. سيان ..

المهم أن يروق لكم ، وأن نقضي وقتاً ممتعاً معاً .. ربما تبقى بعض الآلياف في المرشح كما تبقى بعض آلياف البرتقال بعد تصفية العصير .. لا بأس .. لعلها تكون ذات نفع يوماً ما في لحظة بعينها ..

كان القرار الذي اتخذه المؤلف حتى أسابيع مضت أن يكون الكتاب الخاص هو أول أعداد سلسلة (فانتازيا) الخاصة ، ثم

شعر بأن فكرة هذا الكتاب تلح عليه ، خاصة وقد كان ينوى أن يقدم (الأبجدية) فى الكتاب السابق ثم عدل عنها ..

كان كتاب (36) أقرب إلى طريقة السرد التقليدية ، فقط أنت تستطيع أن تنهى القصة بطريقتين .. وأعتقد أن كثيرين قد أعجبوه خاصة أولئك الذين أصابهم الجنون من كهوف (دراجوسان) شديدة التعقيد ، وربما لم يخرجوا منها حتى هذه اللحظة .

لكننا اليوم نجرب خطوة أخرى نحو طرق السرد التقليدية .. يمكنك أن تقرأ هذا الكتاب كمجموعة من القصص القصيرة وينتهى الأمر ، أو يمكنك أن تتمسك بخيط فى رؤية شىء جديد ..

الأبجدية بدأت كلعبة ثم تحولت إلى لعبة .. فقط عليك أن تنظر بداعتك كى تعرف ما ينبغى عليك مواجهته ..

وفى النهاية ربما ينجح (رافعت) فى الإفلات أو لا ينجح .. المهم أن تقرأ وأن تعيش معه فى هذا الكابوس ..

الأبجدية ..

المصيدة التى نسج خيوطها (لوكيريو) باحتراف .. من هو ؟ ولماذا فعل بالضبط .. أعتقد أن عليك أن تبدأ القراءة بدلاً من التساؤلات التى لا تنتهى ..

تمهيد

قبل هذه القصة لم أكن أعرف (لوكيريو) ..

كنت سعيد الحظ بحق ، ولم أدر كم أن حياتى باسمة مبهجة من دونه حتى ظهر ..

كنت ـ أذكر ـ فى (نيرويى) مدعواً إلى أحد تلك المؤتمرات التى لا تنتهى .. لها فقط مزية واحدة هى أنها تطلعك على الجديد فى كل مكان من العالم .. لها مزية واحدة أخرى هى أنها تكسر روتين حياتك .. وهناك مزية واحدة أخرى هى أنها تريك العالم ، وهو ما لا تقدر ملايينك على أن تحققه .. هناك مزية واحدة أخرى هى أنك تطلع على ثقافات غريبة بعض الشىء ..

هل ذكرت أكثر من مزية ؟ غريب هذا .. طيلة حياتى أعتقد أن للمؤتمرات مزية واحدة فقط لا أكثر ولا أقل ..

كان هناك برنامج لا بأس به يحاول أن يرينا (كينيا) بسرعة كأن هذا ممكن .. وكانت الجولات تبدأ بعد العصر مع انتهاء الجلسات كما كان هناك يوم مخصص للجولات الحرة ..

على كل حال ليس هذا موضوعنا وإلا لسودت بضع صفحات فى وصف هذا البلد الجميل ..

المهم أنني حضرت أصل هذا المؤتمر ، وكانت الورقة العلمية التي دعيت بسببها قد حدد لها اليوم الثالث من المؤتمر .. هكذا مرتديا بذلتي الكحلية التي توهمني فاتنا صعدت إلى المنصة ، وقدمت محاضرتي وسرني أنني كنت مملاً ، وأن عددا لا بأس به من العلماء الكوريين نام فعليًا أثناء كلامي .. من الجميل أن تثير ملل من أثار ملتك من قبل .. الانتقام طبق يجب أن يقدم باردا كما يقول الغربيون ..

كنت مستعدا للكلام حتى تقوم الساعة لولا أن قرع مدير الجلسة على الميكروفون بأنامله ، وهي حركة مؤتمرات رشيقة تعني أنني تجاوزت الوقت .. هكذا نزلت من المنصة مستعدا للأسئلة .. لا أسئلة .. لابد أن تكون مطيقا كي تملك تساؤلات عن موضوع ما ، أما في حالة النعاس اللذيذة هذه يمكنك أن ترضى عن نفسك وعن الكون ، وتتصور أنك تعرف إجابة كل شيء ..

خرجت من القاعة لأشرب بعض القهوة كي أتحمل الساعات القادمة ..

قابلت جوار آلة القهوة الأستاذ الأفريقي (ميشيل دوجوبي) ومعه عالم فرنسي مرموق يدعى (شارل لافابيت) وكلاهما يحمل كوبا ورقيًا يتصاعد منه الدخان ..

قدما لي التهاني على ورقتي العلمية المثيرة .. إن موضوع (الكرايوجلوبيولينيميا) يثير شغفهما .. طبعا لم تكن ورقتي العلمية تشير إلى (الكرايوجلوبيولينيميا) بحرف واحد .. واتضح أنهما خلطا بيني وبين أي محاضر آخر أصلع الرأس نحيل ..

شكرتهما على كل حال ورحنا نتكلم عن كل شيء .. المشكلة هي أنني لا أفقه شيئا في الفرنسية أكثر من مستوى الصف الثالث الثانوي ، وهما لا يعرفان عن الإنجليزية إلا بعض الأغاني .. لكن التفاهم كان ممتازا برغم هذا ..

قال لي الأستاذ الفرنسي :

ـ « هل ترغب في أن تصحبنا في جولة غد ؟ يقولون إننا سنرى بحيرة (رودلف) في الشمال الغربي .. »

هذا هو ما فهمته من فرنسيته على كل حال .. فربما كان يخيرني أن طعم القهوة سيئ لا أكثر .. تساءلت في غباء :

ـ « هل هذا رائع ؟ »

أعتقد أنهما فهما ما قلت .. أدعو الله ألا يكونا قد فهما أنني مصاب بمغص .. قال الأفريقي :

ـ « بحيرة (رودلف) هى التى يطلقون عليها اليوم اسم (توركانا) .. هناك توجد قبيلة (توركانا) التى برهنت أبحاث المعمل النووى DNA على أنها أقدم قبيلة بدائية فى العالم ... »

قال الفرنسى :

ـ « بمعنى آخر .. من لم ير (توركانا) لم ير قبائل بدائية بعد ... »

بدا لى الأمر مثيرًا .. فمهم ألا يضعونا فى قدر ويلتهموننا .. ستكون هذه أغرب جولة سياحية رأيتها فى حياتى ..

(كينيا) حيث (كليمنجارو) و(المساى) و(توركانا) والمحميات الشهيرة بلد مثير بالتأكيد .. أعتقد أننى سأقبل هذا العرض ..

وكما يقولون فى القصص الفكتورية العتيقة : ليتنى لم أفعل ..

* * *

كنا نركب طائرة هليوكوبتر تحلق فوق قرى التوركانا .. أبيس كالمستكشفين قبعة من القش وأنيس سروالاً قصيرًا تظل ساقاى النحيلتان .. هكذا أجبرونى كى لا أبدو سخيفًا .. أى أننى الآن لا أبدو كذلك ..

من بعيد نرى البحيرة الشهيرة .. البحيرة التى تعج بالتماسيح والتى حاول الترويجيون أن ينشلوا فيها مشروعًا لصيد الأسماك وتعليبها ، على أن يقدم أفراد القبيلة الأيدى العاملة .. هذا هو مشروع (نوارد) الذى أسفر عن كارثة وفشل ذريع .. لابد أنكم قرأتم هذه التفاصيل فى قصة (سافارى) التى تحمل اسم (توركانا) .. لن أكرر ما قيل هناك منعًا للملل ..

مررنا بقرى غريبة مثل (لوكيتلسوكيو) و(لوكيتلسار) و(إليا) .. ثم بدأت الطائرة تهبط فى القرية الأولى ..

إن قبيلة (توركانا) التى يبلغ عددها 350 ألفًا جاءت من السودان أصلاً .. وما زال بعض أفرادها موجودين فى جنوب السودان وشرق (أوغندا) وشمال (كينيا) حيث نحن الآن .. هذه مجموعة من القبائل يطلق عليها اسم (النيلية) لأنها جاءت من حول النيل أصلاً ..

لهذا يمكن فهم سبب أن اللغة التى يتكلمون بها تدعى اللغة النيلية Nilotic ..

كل رجل من الأهالى عار تقريبًا ما عدا قطعًا من صوف الأغنام وجلود البقر يضعها فوق العورات .. ثمة عظمة تخترق

شظته لسقلى ليبدو أجمل ، وقطعة من السلك يغرسها غرساً فى لحم قروة الرأس بهدف إطالة الفصل ، كان الفصل يمكن أن يجد الجرأة للمشى على هذا الرأس .. الطريف كذلك أن قبيلة توركانا هى أكثر تجمع لبناء الحويصلات المائية Hydatid cyst فى العالم .. القبيلة كلها مصابة بهذا المرض . فهذه البطون المنتفخة لا تدل على كثرة الطعام بل على المرض ..

قال لى الأستاذ الأفريقى (ميشيل دوجوبى) الذى لم تكن هذه مرته الأولى هنا :

ـ « إنهم شديدو الحساسية ولا يميلون إلى الأجانب فحاول ألا تطيل النظر ... »

فيما بعد هذا بأعوام جاء عالم أنثروبولوجى مهم ولد فى كينيا ويدعى (ريتشارد ليكى Leakey) ، أجرى عام 1984 حفريات هامة على ضفاف بحيرة (توركانا) فوجد هيكلاً عظميًا لصبى مراهق .. هذا الهيكل تبين بالفحص الكربونى أن عمره يتجاوز مليونًا ونصف من الأعوام ، وقد اشتهر فى أوساط علم الأجناس باسم (صبى توركانا) .. الرجل حاليًا مدير معهد دراسات التاريخ الطبيعى فى كينيا ..

تفرقنا فى القرية .. الحقيقة أننى زهدتها بعد عشر دقائق .. فقرية واحدة تشعر بعدها بأنك رأيت كل شىء ..

كانت هناك أحراش تحيط بالقرية من كل الجهات ..

حاولت أن ألتقط بعض الصور للأهالى لكنهم كانوا عدوانيين جدًا .. كلما وجهت العدسة نحو أحدهم زمجر فى ضيق وأدار وجهه ..

قال لى الطبيب الأفريقى الذى يجيد لغتهم :

ـ « هم يعتقدون أن الكاميرا تخطف الروح .. لا تحاول استفزازهم بهذا الصدد .. »

هكذا دسست الكاميرا فى جيبى أسفًا .. سيكون على أن أحتفظ بكل شىء فى ذاكرتى ، وعندما أعود لمصر أحكى لهم عن التوركانا التى .. التى .. لا شىء .. من دون صور سيكون الشرح عسيرًا ..

كانت الضوضاء شديدة وشعرت بملل حقيقى .. لذا قررت أن أجوب المنطقة على قدمى ..

الأحراش .. التوغل فيها لكن بحذر حريصًا على أن أبقى القرية فى مجال بصرى إذا اضطررت للخلف .. أعرف ديدن الحمقى فى التجوال حتى يضلوا الطريق . لكنى أذكى من هذا أو

أجبن .. لا أعتقد أن تمرا سيهاجمني هنا لأن صخب هؤلاء القوم يصم الآذان ، دعك من أننا في الثانية عشرة ظهرا .. في كل صور المجلات المصورة التي رأيتها كان القمر يجر ضحيته الدامية في ضوء القمر ..

مشيت بين الأحراش أكثر ..

فجأة توقفت ..

هناك وسط مساحة خالية من الأشجار كانت مجموعة من الأعواد الرأسية المغروسة في الأرض ترسم دائرة .. وفي وسط الدائرة كان صنم أفريقي قبيح .. قبيح بمقاييس الجمال المجرد ، لكنه تحفة فنية حقيقية لو نظرنا بخبرة الناقد الفني ..

صنم بارتفاع قامتي .. له شفتان غليظتان متدليتان وفي كل أذن قرط. يمط شفتيه في اشمئزاز .. قرد قبيح جداً .. له ذراع واحدة يرفعها إلى خده .. لا أعرف إن كان هذا (طوطمهم) أم مجرد صنم وثني .. لقد جعل فرويد وفريزر القصة معقدة بشكل ما .. بالنسبة لنا هؤلاء وثنيون يعبدون حجراً .. بالنسبة لفريزر وفرويد هناك تراث هائل من خبرات التابو وراء هذا الشيء الكريه .. إنه بالنسبة لهم يمثل طفولة البشرية ومواد العصاب .. إلخ .. لقد قرأت كتاب الأخير (الطوطم والتابو) فلم أفهم إلا أنني لم أخلق لأكون محللاً نفسياً ..

دنوت من الصنم أكثر .. هنا خطرت لي فكرة طفولية خبيثة ..

نظرت حولي .. لا أحد يراني .. هذا الشيء لا ينفع ولا يضر وهو رمز لحماقة البشر وغبائهم .. لا شك أنه مما يسعد أي متدين أن يضربه على قفاه أو يحطمه .. لكني لن أفعل ذلك بالضبط ..

فقط نزعت قبعتي ، فوضعتها فوق رأسه ثم أخرجت لفافة تبغ دسستها بين شفتيه الغليظتين .. نزعت ساعة معصمي ولحطت بها معصمه النحيل ...

بدا منظره مضحكاً جداً كقرد يدخن .. وهذا القرد رجل أعمال كذلك ..

وجدت صخرة عالية فوضعت عليها الكاميرا وقمت بتشغيل توقيت الالتقاط التلقائي ، ثم جريت لأقف جواره .. هكذا انطلق فلاش الكاميرا ليسجل هذه الصورة الطريفة لنا معاً ..

كليك !

هنا افتح باب الجحيم ..

* * *

البداية

في اللحظة التالية رأيت ذلك الوطواط الأسود النحيل الذي يغطي رأسه بالريش ويحيط خفقه بالقواقع يخرج لي من الأعراش ..

كان غاضبًا غضبة مضرية .. عيناه توشكان على مغادرة محجريهما .. يرتجف غيظًا .. يقول كلامًا كثيرًا ، وهو يشير لي بإصبعين مفتوحين مشدودين كأنهما مخلبان ..

استعدت قبعتي والكاميرا بسرعة وتراجعت ..

لا داعي للتفسير .. هذا المخبول هو ساحر القبيلة ، وقد رآني أهين صنمهم بطريقة مفزعة ..

من الغريب أنه لم يهاجمني .. وفهمت أنه على الأرجح يخشى ذلك .. لقد صرت من التابو أي أن لمسي صار محرمًا .. (تابو) لفظة بولينيزية معناها (المحرم) ..

تراجعت بظهري وأنا أنظر للخلف ..

رأيته مصرًا على المشي ورائي وهو لا يكف عن الكلام .. وطيلة الوقت كان إصبعاه مفرودين نحوي وعيناه تجحظان .. برغم هذا احتفظ بالمسافة بيننا .. لم يقصرها فيهجم ولم يطلها فيتركني وشأني ..

عندما خرجت من الأعراش إلى القرية كان الوضع قد تغير تمامًا ..

لقد وقف التوركانا حولنا في دائرة والغضب يشتعل من عيونهم .. يسبون ويلوحون بأذرعهم تكلهم يخشون الاقتراب مني .. شعور مفزع أن تدرك أنك هدف هياج الجموع .. كان الله في عون الطاغية الذي يثور شعبه عليه ..

ودنا مني الطبيب الفرنسي ليسألني في لهفة :

ـ « ماذا فعلت ؟ »

قلت وأنا أنظر حولي :

ـ « دنست صنمهم على سبيل المزح .. »

هنا جاء الطبيب الأفريقي (توجوبي) وقال في رعب :

ـ « أنت ارتكبت حماقة لا توصف .. »

ثم راح يكلم الساحر بلغته .. وهذا الأخير يكرر ذات المقاطع من الكلام ..

قال لي الأفريقي :

ـ « هو (توكيربو) .. كل ساحر عند (التوركانا) اسمه (توكيربو) .. يعتقدون أنه يمثل الآلهة... هو يوحد القبيلة ويحرم

المرقة داخلها ، لكنه يسمح لهم بمرقة المواشي من القبائل الأخرى .. »

ثم قال وهو يشير إلى الطائرة :

ـ « سوف نختصر هذه الزيارة حرصا على سلامتك .. هيا بنا ! »

وهرعنا جميعا إلى الطائرة .. الغريبون يمنعون بأجسادهم حاجزا حولي ، بينما الأهالي يموجون ويثورون ..

المحرك يدور والطائرة ترتفع ، بينما ذلك الأخ (لوكيرو) يقف على الأرض في ثبات مصرا على أن يصوب نحوي مطبيه الحادين .. لو أن النظرات تقتل لكنت نسيا منسيا منذ زمن ..

الطائرة ترتفع وهو يصغر .. القرية كلها تصغر ..

فقط لتتحول من السماء إلى عش من النمل الهائج الغاضب ..

* * *

دار العشاء مرحا في الفندق .. الفجر الجميع ضاحكين بينما الطبيب الفرنسي يحكي لهم ما قمت به من حماقة .. ضحك البعض حتى شرقوا بما في فمهم وسعلوا ..

قال لي :

ـ « من حسن حظك أن قوانين التابو تحل هنا .. (رقابيل متي) أو (كوتجو ماسا) الذي كان خبيرا في إفريقيا ارتكب خطأ مماثلا .. تدخل إلى معقل قبيلة في عيد ديني من أعيادها حيث يحرم على الغرباء الاقتراب .. هذا مزقوه لساعته .. لولا التابو لعدنا بأشلائك إلى الفندق .. »

كنت مهزوزا بفعل تجربة الصياح .. لقد كانت غلطة فادحة بحق ، لكن كيف لي أن أعرف أن ذلك الشيطان سيراني ؟

نظرت بطرف عيني إلى ذلك الطبيب الأفريقي (دوجوبي) فلاحظت أنه ساهم لا يشاركنا المرح .. فقط التقت عينانا فقال لي في كياسة :

ـ « ألم تترك عندهم أي أثر منك ؟ »

ـ « لن نعود لهذا السخف .. »

ـ « فقط أجب عن سؤالي .. »

تذكرت ما قمت به لحظة التصوير .. ثم تحسست معصمي .. الساعة ليست هناك .. ما زلت حول ساعد ذلك الصنم .. كانت ساعة ثمينة وإنها لخسارة فادحة ، لكني بالطبع لن أعود لأطلبها منهم في كياسة ..

ـ « ساعتي .. »

تسمعت عيناه في خطورة ثم راح يلتهم طعامه ليتشاغل عني ..

قلت له في غيظ :

ـ « لا تحدثني عن السحر بالاقتران من فضلك .. »

ـ « لكنه هو ما أتكلم عنه فعلاً .. »

أرجو أن أكون قد أسأت الفهم .. ربما هو لا يتكلم عن السحر بالاقتران ، بل يتحدث عن أن العشاء لذيذ .. إن تلك اللغة الفرنسية تثير جنوني .. لست غبيًا بشكل خاص لكن عقلي ظل كالحصن المستعصي على مفرداتها وتصاريف أفعالها ..

قال لي وهو ينهض :

ـ « أعتقد أننا يمكن أن نتكلم في الشرفة بشكل أفضل .. »

* * *

حتى وأنت في مدينة متحضرة مثل (نيروبي) فإن الليل الأفريقي لا يمكن السيطرة عليه .. هذه الرائحة القادمة من القرى النائية .. من الأسود المتوارية تحت الأشجار تسترصد عكس الريح بقعقعان الظباء .. من التماسيح المتصارعة في الأنهار .. من الأعشاب الطبية التي يحرقها السحرة .. من الأشجار العملاقة في المحميات ..

هذه الرائحة تتسرب إلى رئتيك فترتجف شاعراً بأنك ضئيل حقاً ..

قال الدكتور (نوجوبي) وهو يملأ رئتيه بالهواء :

ـ « نحن لا نؤمن بقدرات خارقة لدى هؤلاء السحرة ، لكننا نخشاهم لا لتجاهلهم .. إن بعض الـ (واندربو) يملكون قوى لا شك فيها .. والمهم هنا أنك استفززتهم أكثر مما يستطيعون التحمل .. ماكان يجب أن تقوم بهذه الدعابة .. لاحظ أنني لا أتكلم عن أية قدرات لدى ذلك الصنم القبيح ، لكني أتكلم عن قدرات لدى الساحر .. هل يستطيع فعلاً عمل ما يزعم أنه قادر عليه ؟ »

نظرت له في الظلام وتساءلت :

ـ « ما الذي يزعمه ؟ »

ـ « قال إنك حاولت خطف صنمهم وأهانه بالكاميرا .. لذا سيقوم هو بخطف روحك .. يقول إنك ستذهب بعد ساعات اليوم في دهاليز الكوابيس ومع الأبجدية .. وأنك ستنتهي الموت فلا تناله .. »

ـ « هذا فحسب ؟ ظريف جداً .. »

ـ « لاحظ أنك تركت ساعتك هناك .. فهل يعني هذا شيئاً ما ؟ »

وارتجفت للفكرة ..

حقًا ليس من المستحب أن أقرأ شيئًا مثل لدى هذا الفرد الوثنى الغاطب .. ربما هو تراث (الأثر) الذى تلقيناه من جيل الأمهات والخالات .. لماذا كانت أمى تأمرنى بالتخلص من بقايا قص أظفارى وشعرى فى الحمام ؟

فى الأسبوع التالى انتهى المؤتمر وعدت إلى مصر ..

لم ألم بتعميض الفيلم لأننى شعرت بالقباض بالغ منه .. تبدو فكرة سخيفة ، لكنى بالفعل تشاءمت من أن أحتفظ بصورة لهذا الصنم ..

هكذا عادت حياتى إلى انتظامها ولم يعد من قصة ذلك الـ (توكيريو) إلا ذكرى مبهمة تزورنى فى بعض الكوابيس .. مهما بلغ إيمانك بالعلم فأنت لا تستطيع إلا أن ترتجف إذا رأيت ساحرًا غاضبًا فى كوابيسك .. خاصة إذا كان بشع الخلقة تساقطت أظفر أسنانه ..

كان يتكلم بلغته .. ذات الكلمات التى سمعتها لكنى الآن أعرف ترجمتها .. وكنت أصحو غارقًا فى العرق وأذهب إلى الحمام ثم أشعر بالنشوة الحقيقية لكونى أحلم .. ليس شىء من هذا كله حقيقيًا .. هذا رائع ..

هكذا مر 24 يومًا على ذلك التاريخ ..

وفى ذلك اليوم صحوت من نومى عند الظهيرة .. لم يكن لدى عمل فى ذلك اليوم .. أحيانًا أشعر بضيق لأننى لا أملك عيادة

خاصة ، وأحيانًا أغبط نفسى على أن الوقت ملكى .. لو كنت أملك عيادة لجربت كالمجنون أستعد للفترة الظهيرة ، لكنى أشعر باسترخاء تام .. سأعد غدائى على مهل ، ثم ربما أعود للنوم بعده .. فى المساء ربما أزور شخصًا ما أو أجلس وحيدًا أطالع ..

فتحت باب المطبخ فقابلنى مذعورًا !

نعم .. لا يوجد حقًا مطبخى هناك .. Sic أو (هكذا) كما يقولون فى النص اللاتينى .. هناك مذعور فى المطبخ ! سأعطيك من التفاصيل تاركًا إياها لخيالك الخصب .. مذعور عادى ضخم فى المطبخ .. ألم تمر بهذا الموقف من قبل ؟

أغلقت الباب وأنا أرتجف قبل أن ينقض هذا محاولاً الخروج .. راح يضرب الباب عدة مرات والباب يرتج لكن باب مطبخى من الطراز القوى ..

مذعور فى الثانية عشرة ظهرًا ؟ لم أسمع قط عن مذعور صباحى .. دعك من أن القمر غير مكتمل ولن يكتمل قبل أسبوع .. هذا مذعور (مضروب) تمامًا إذا سمحتم لى بهذا التعبير ..

أنا أهذى .. هذا واضح .. من الصعب أن يعرف المجنون أنه مجنون ، لكنى من هذا الطراز .. هكذا استرحت لهذا الخاطر خاصة وأن صوت ضرب الباب توقف .. فتحت الباب فلم أر شيئًا ..

في الواحدة بعد الظهر دخل من النافذة رجل عث Mothman وهو كان شنيع أقرب إلى وطواط عملاق بلا رأس .. فقط له عينان حمراوان على جانبي صدره .. وقد توارت منه تحت الفراش ..

رجل عث في مصر ؟ معلوماتي أنه لم يظهر إلا في (ويست فرجينيا) بين عامي 1966 و1967 .. ويعتقد كثير من العلماء أنها خرافة من الخرافات (الفولكلورية) التي لا تنتهي ..

على كل حال حلق في الشقة قليلاً ثم توارى ..

في الثانية بعد الظهر رأيت في الحمام (نكروماتسر) حقيقيًا يمارس نشاطه الكريه .. هناك جثة ممزقة في مغطس الحمام ، بينما ذلك الشيطان الذي لم أتبين وجهه يستنطق الجثة لمعرفة ما تعرفه ..

أغلقت باب الحمام وقد اطمأننت إلى أنني جننت ..

اتصلت بالدكتور (محمد إبراهيم) مختص الأمراض النفسية فأخبرتني ممرضة عيادته أنه في فرنسا .. شيء يثير الحنق .. ما الذي سيجده في فرنسا ويستحق أن يتركني من أجله ؟ كنت بحاجة إلى صدمات كهربية وجرعات من الفنوربرومازين والنيثيوم ، وربما ذلك المغطس البارد الذي يلقون فيه المجانين .. كان هذا سيشعرني بتحسن لا شك فيه ..

في الثالثة بعد الظهر هاجمني رجل قرد عملاق يذكرك بمنظر (الياتي) أو رجل الثلوج .. اضطررت للفرار منه إلى الدرج .. كان ضخمًا إلى درجة أن رأسه راح يسقط ملاطًا من السقف .. لكني برغم هذا لاحظت أن له ملامح آسيوية معينة .. من جديد أعفيك من التفاصيل .. كل إنسان يستطيع أن يتخيل منظر الياتي وهو يهاجمه في صالة بيته ..

* * *

بعد نصف ساعة جلست في مقهى شعبي ، وسط الزحام والبلطجية الذين يتبادلون السباب ويبصقون .. هنا أنا في أمان نوعًا .. حتى (خريوشن) لا يجسر على دخول هذا الوكر .. أريد بعض الوقت كي أفكر .. لا شك في أن ارتطام أحجار الدومينو يلغي الأفكار .. دعك من الـ (هههههههع) طبعًا ..

الحل الأول السهل : هو أنني جننت ..

الحل الثاني يقول : إن هذه بالضبط هي لعنة الـ (لوكربو) .. لقد مر 24 يومًا منذ كنت هناك فماذا يعني هذا ؟

« يقول إنك ستتعذب بعدد ساعات اليوم في دهاليز الكواليس ومع الأبجدية ، وأنك ستنتهي الموت فلا تناله .. »

هنا فقط تذكرت وتوترت ..

لقد حدث شيء في الثانية عشرة والواحدة بعد الظهر والثانية والثالثة ..

فعلاً كنت أتعذب بعدد ساعات اليوم .. لكن ما معنى (مع الأبجدية) ..

لقد هاجمني مذهوب .. ثم رجل عث .. ثم رأيت نكرومانسر ثم رجل ثلوج ..

هل يعني هذا أي شيء ؟

م .. ر .. ن .. ر ..

أمسكت بقلم وورقة ورحت اكتب الأسماء .. ميم .. ثم نون .. ليس هناك ذات الترتيب في العربية والإنجليزية .. لكن .. من قال إن هذا الساحر استخدم العربية ؟

وما علاقة هذا بساعات اليوم ؟

جاءت القهوة فلم أعرف أنها جاءت لأنني كنت منهمكاً بحق .. وبصوت عال رحت أردد حروف الأبجدية العربية والإنجليزية كأنني في روضة أطفال حتى راح الجالسون ينظرون لي ويتصفّرون ..

كتبت الحروف اللاتينية في جدول حسب ترتيبها .. فكانت النتيجة كما يلي :

A	B	C	D	E	F	G
1	2	3	4	5	6	7
H	I	J	K	L	M	N
8	9	10	11	12	13	14
O	P	Q	R	S	T	U
15	16	17	18	19	20	21
V	W	X	Y	Z		
22	23	24	25	26		

يمكن القول إنني هوجمت بوساطة الكائنات التالية :

Werewolf

Mothman

Necromancer

Yatti

من الغريب أن رقم الحرف يتطابق مع الساعة فى حالتى الرجل العث والنكرومانسر .. الواحدة ظهراً هى فى الحقيقة الساعة 13 .. والثانية هى الساعة 14 .. إذن !

ما هاجمنى الساعة 15 يجب أن يبدأ اسمه بحرف O لو كنت على حق .. لكن كيف .. هنا تذكرت الملامح الآسيوية .. هناك أكثر من رجل ثلوج أو (رجل ـ قرد) فى العالم .. يمكننى أن أذكر بستة من هذه الرئيسيات الغامضة التى يخشاها الأهالى ويراها المستكشفون من بعيد ، فلا يتفقون لها صورة واضحة أبداً .. منها الساسكواتش واليتى و.. وأورانج جادانج Orang Gadang ..!!.. اسمه يبدأ بحرف O لو كنتم قد لاحظتم ..

إننى على حق .. بالتأكيد على حق ..

إذن لابد أن يكون ما هاجمنى الساعة 12 يبدأ اسمه بحرف L .. هذه المرة لم أجهد تفكيرى كثيراً لأن المذءوب هو الليكانثروب Lycanthrope فى الثقافات اللاتينية .. الكلمة التى استخرج منها العرب لفظة (الغطرَب) ..

ورشقت رشفة سخية من القهوة ..

لتتضح الأمر وإننى لأحب الأمور المنطقية .. هذا يضفى على الكون لمسة (غائية) محببة ..

الأمر إذن كما يلى :

هذه اللعنة التى حلت بى سلطت على كل مسوخ وشياطين العالم فيما يبدو .. لكن طريقة العقاب مرتبطة بالساعة ، والسبب أننى تركت ساعتى لدى هذا الأخ (لوكيربو) ..

فى كل ساعة من اليوم أواجه خطراً مرعباً .. والحرف الأول من اسم هذا الوحش يتطابق فى ترتيبه الأبجدى مع الساعة ..

يمكن القول بلا خطأ كبير أننى فى الساعة الرابعة ـ أى الساعة السادسة عشرة ـ سأواجه خطراً يبدأ بحرف P .. ترى ما هو .. لا أجد فى ذهنى أى مسخ يبدأ بحرف P فى هذه اللحظة ..

يجب أن أجد موسوعة المسوخ التى أحتفظ بها فى بيتى وأدرس الحروف بعناية .. لا أنكر إن كنت استعملتها لتسند رجل المكتب المكسورة ، لم أننى أرفع بها الفراش لأمنع الارتجاع المعدى ليلاً .. الآن صارت مهمة جداً ..

* * *

والآن أيها القارئ العزيز يمكننا أن نبدأ ..

انظر في ساعتك .. لا تعبأ بالكسور طبعًا .. وانظر للجدول واختر من الأبجدية الحرف الذي سيكون عليك مواجهته معي ، ثم انتقل للفصل الذي يحمل اسم هذا الحرف .. لن أستعمل أرقام الصفحات منعًا لحدوث اختلافات أثناء الطباعة ..

طبعًا يمكنك أن تقرأ الكتيب كأي كتيب آخر من بدايته للنهاية بدلاً من هذه الألعاب البهلوانية ، لكني أفترض أنك تبحث عن شيء مختلف وأنك تتمتع مثل الأخ (لوكيريو) بالميل إلى المرح .. أفضل أن تجرب على مدى ساعات اليوم وفي عدة أيام ، فبهذه الطريقة لا تعرف أبدًا ما ينتظرك مع الأبجدية ..

الأبجدية ..

المصيدة التي نسج خيوطها (لوكيريو) باحتراف .. هل أنجو منها ؟ أعتقد أن عليك أن تبدأ القراءة بدلاً من التساؤلات التي لا تنتهي ..

لقد بدأ الأخ (لوكيريو) المرح ، فلن تنقذنا منه إلا معجزة ..

* * *

A

الواحدة صباحًا ..

انتظرت كثيرًا هذا أن يحدث شيء .. أي شيء ..

أقف في شقتي بكامل ثيابي أنتظر ..

أنتظر (أبراكساس) ... (عزازيل Azazel) .. (أبيجور) .. وماذا عن الغريف Azef وأزيموديوس ؟

كلها مسوخ وشياطين نارنية ..

لكن شيئًا لم يحدث ..

من الواضح أنني مخطئ وأن انتظاري كلها مجرد وهم ..

ثم أنه ينتظر ..

www.liilas.com

B

الثانية صباحا ..

أنا فى مكان من أيرلندا ..

لا أذكر هذا المكان .. لست ذا خبرة كبيرة بأيرلندا على كل حال ، لكنى أعرف كل شىء عن أسكتلندا كما تعرفون ..

فقط أنا مدثر بالثياب كالدب ، وعلى رأسى قلنسوة صوفية كأننا فى سيبيريا .. السبب واضح هو أن الجليد فى كل مكان .. هناك بيوت خشبية بسيطة لكنها عصرية .. وهناك نيران فى الداخل .. هذه إذن قرية أيرلندية صغيرة ..

اتجهت إلى باب من الأبواب وقرعته .. لا أحب زيارة من لا يرغب فى قدومى .. بالأحرى لا أحب زيارة أحد على الإطلاق ، لكن للضرورة أحكامها .. أنا لا أشعر بقدمى من البرد ولحتمال قضمة الصقيع وارد .. لا أريد فقدان المزيد من الأصابع ..

أدق الباب عدة مرات فلا يرد أحد .. فقط أسمع صوتا من الداخل .. هناك من يتكلم .. لكن لا أحد يفتح لى ..

جربت بابا ثانيا فثالثا .. لا جدوى ..

القصة إذن من الطراز الشائع إياه .. الفلاحون حول النار لا يفتحون أبوابهم فى هذه الليلة بالذات لأن الشياطين تغادر معاقلها أو الموتى يخرجون من قبورهم .. ربما المذءوب يجول حرا .. اى شىء ..

لا أعرف بالضبط .. المهم أنهم لن يفتحوا .. وهذه أسوأ ليلة ممكنة كى أكون هنا .. لا أخاف الموتى .. أخاف التجمد ..

حرف B .. تُرى ما الخطر الذى يحمل هذا الحرف .. (برد) ؟ فقط لو كان ذلك الأخ (لوكيريو) يتنقل بين العربية واللاتينية بحرية ..

فجأة سمعت صوت العويل ..

صوت عويل مخيف كأنه عواء ذئب أو صراخ غراب .. هذا جمد الدم فى عروقى ..

من أين يأتى ؟

هناك جوار هذه الأشجار التى يكسوها الثلج كانت تلك الفتاة متكمشة على نفسها تطلق هذا العواء ..

دنوت أكثر فوجدت فتاة بارعة الحسن رقيقة جداً .. ازرقت أطرافها فبدت كشبح .. كانت تتجمد فعلاً ..

ـ « من أنت ؟ »

ـ « أنا (مارى) .. »

طبعاً كان الأمر واضحًا بالنسبة لى .. هذه هى الجنية التى حبسوا أنفسهم فى البيوت خوفًا منها ، وأنا الأحمق الوحيد الموجود فى الخارج معها .. هذه هى تقاليد القصص المرعبة .. لكن ملامحها بددت الخوف من نفسى .. كانت هشة فعلاً خائفة فعلاً .. لو لم تكن هذه كائنًا بشريًا فمن أكون أنا ؟ لابد أننى ميت منذ عشرين عامًا إذن ..

ـ « لماذا تبكين ؟ »

قالت بلهجة إيرلندية تصلح للتدريس :

ـ « بيتى هناك .. » ـ وأشارت إلى أحد الأكواخ ـ « لكن أهلى لا يريدون أن يفتحوا لى .. هم خائفون لأننى تأخرت فى العودة .. »

ـ « جميل .. وهذا مبرر كاف لتركك تتجمدين حتى الموت هنا .. أحب هذا الحماس التربوى .. »

ابتسمت ابتسامة شاحبة أشاعت الدفء فى قلبى المتجمد ، وقالت :

ـ « ليس هذا عظيمًا لى .. إنما هى الليلة التى يخرج فيها الشيطان (بيليال) .. هم يخشون أن يفتحوا الباب لى فيدخل (بيليال) .. »

(بيليال) من أتباع (إبليس) المعروفين فى الثقافات الغربية .. اسمه يبدأ بحرف B ومعنى هذا أننى عرفت مغامرتى القادمة .. الدفاع عن هذه الحمقاء ضد شيطان ..

كانت ترتجف بعنف .. ثم أطلقت تلك العواء الخارج من أعماق قلبها ..

هنا استبد بى مزيج من الغضب والشفقة والرعب .. هؤلاء الحمقى يتركون الخرقاء تقتل هذه الفتاة الرقيقة .. سوف يتركونها حتى تتجمد ، وفى نعوى ألمًا بدعوى وجود شيطان بالخارج ، وفى الصباح سيقولون إن الشيطان هو الذى قتلها وليس غباءهم الشديد ..

الفتاة تعاود الصراخ ..

هكذا مشيت فى حزم أجر قدمى وسط الثلوج حتى بلغت ذلك الكوخ ..

دققت الباب مرارًا وصحت :

ـ « أنتم أيها البلهاء ! الفتاة ستموت من البرد ! لو لم تفتحوا لأبلغت الشرطة ! »

طالت المحاولة والصراخ بلا جدوى ..

فجأة سمعت من يتكلم بالإيرلندية من الداخل .. ثم انفتح الباب بصعوبة .. رأيت وجه امرأة عجوز ووجه شاب من الطراز الإيرلندى العصبى إياه ..

قال الشاب لأمه :

ـ « إنه رجل يا أماه .. »

قلت أنا فى عصبية :

ـ « ولست (بيليال) أيضًا"

هنا تنحت المرأة عن الباب للسماح لى بالدخول .. هناك كانت المدفأة مشتعلة حولها يجلس ستة أفراد ينظرون لى فى شك ..

راح الثلج ينوب عن كتفى وحاجبى .. نار .. نار!

لم أر متى وضعت العجوز قدحًا من الشاى الساخن فى يدى .. قرحت أعتصره فى تهم قبل أن أشربه ، وسرعان ما وجدت سلطانية مليئة بحساء ساخن كذلك قرحت أشربه دون أن أسأل عن محتواه ..

قالت المرأة :

ـ « معذرة .. إن زوجى مريض لهذا لا نفتح للغرباء .. »

ـ « أفهم هذا .. وموضوع (بيليال) هذا .. »

قال الفتى فى عصبية :

ـ « ما (بيليال) هذا ؟ منذ رأيناك وأنت تكرر الاسم .. »

ـ « السبب فى إغلاق أبوابكم .. ولكن .. »

وتذكرت على الفور سبب مجيئى . يا لى من غبى :

ـ « ابنتكم تبكى بالخارج ! .. يجب أن تدعوها تدخل .. »

هنا تبادلت المرأة نظرة مع الشاب .. اتجهت إلى النافذة وأزاحت الستار .. كان الثلج يكسوها من الخارج والرؤية مستحيلة ، لذا أحضر الفتى شمعة ألصقها بالزجاج .. بعد قليل بدأت دائرة تتكون وسط الثلج .. وأمكننا أن نرى ما يدور بالخارج ..

لم يكن ما رأيناه محببًا ..

كانت الفتاة (مارى) تلصق وجهها بالنافذة وترنو إلينا فى ثبات دون أن ترمش عيناها .. على شفتيها ابتسامة قاسية جمدت الدم فى عروقى ..

همست العجوز ، وهى ترسم علامة الصليب :

ـ « هذه ليست ابنتى ! »

ثم أعادت الستار وهتفت فى الفتى :

ـ « اذهب لترى أباك .. »

جرى الفتى وجريت معه .. أنا طبيب وربما كان هناك ما أقدر على عمله ..

غرفة نوم ضيقة .. فراش .. عليه رجل عجوز مدثر بالأغطية .. لكن عينيه شاخصتان إلى المجهول .. لم أحتج إلى أن أتحسس نبض عنقه .. إنه ميت جداً ..

نظرت للفتى ونظر لي ..

وعلى باب الغرفة رأيت المرأة .. كانت تنظر لنا نظرة معناها (هل كان ما توقعناه صحيحا ؟) .. قال الفتى :

ـ « لقد توفي يا أماه .. »

فلدت المرأة ظهرها على الوقوف وتهاوت قدماها ..

قال الفتى وهو يساعدها على النهوض :

ـ « لقد سمعت البانشي Banshee تعول في الخلاء أمس ولم أرد أن أصدق .. لكننا الآن رأيناها تطل من نافذتنا .. ! »

هنا فقط تذكرت ..

لقد كانت قصة (بينيال) هذه نوعًا من التضليل ..

(البانشي) تلك الجنية التي تجدها في أساطير الإيرلنديين والغال منذ القرن الثامن الميلادي حتى اليوم .. التي تعوي خارج البيت فيعرف سكانه أن واحدًا من أفراد الأسرة سيموت ..

قد يكون عواؤها رقيقًا حزينًا إذا كانت تحب أفراد الأسرة ، وقد يكون مريعًا مخيفًا إذا كانت تكرههم ..

هناك أسر بعينها ارتبطت بالبانشي .. وما حدث لي هو أنني جلست مع البانشي وتبادلنا الحديث .. وحاولت أن أسمح لها بالدخول ..

ثم تكن تعوي من الخارج ..

كانت تنذرهم بموت رب الأسرة ..

C

بين الظواهر الكونية الغامضة تتكرر بكثرة تيمة (الإنسان ــ القرد) الذى يمثل حلقة مفقودة ما .. أشهر مثالين لهذا هما (اليتى) فى الهيمالايا و(السكواتش) فى غابات أمريكا الشمالية .. هناك فى كل قارة نسخة من هذه المخلوقات .. كل القصص متشابهة على كل حال .. هناك من رآوه فى الدغل من بعيد وفر منهم .. العالم الفلانى رآه والتقط صورة .. وترى الصورة فتجد ظلاً مبهماً بين الأشجار يمكن أن يكون كرسى حمام أو (مارلين مونرو) أو زوج خالتك .. لكنك ترى هذا العالم بثياب المستكشفين وقد أطال شعر شاربه وجعله يتصل بسالفيه ، والظنون بين شفتيه ، فتؤمن أن ما يقوله صادق ..

نحن الآن فى إحدى غابات الأمازون .. الظلام دامس فيما عدا نار المخيم التى أشعلناها ..

نحن فى أمريكا الجنوبية إذن .. لا أعرف كيف ولماذا جئت هنا ، لكن الأخ (لوكيريو) أراد ذلك ..

أنا مع فريق من العلماء الذين يعملون لدى (ناشونال جيوجرافيكس) .. معنا مصورون علميون ممتازون وعدد من الوطنيين ..

هذا طبيعى .. لو لم تهتم (ناشونال جيوجرافيكس) بذلك المخلوق الغريب الذى يُشاهد كثيراً فى هذه الغابات فمن يهتم ؟

يقول د. (دوجلاس ماهون) العالم الأمريكى الشهير :

ـ « روح الأدغال .. هذا هو ما نبحث عنه .. أحياناً يطلقون عليه اسم (ماتوبو) .. »

سمعت الاسم ونظرت لساعتى .. الثالثة صباحاً .. أسف يا شباب .. ليس هذا هو المسخ الذى يجب أن أقابله .. مسخى الخاص يبدأ اسمه بحرف C .

لابد أننى سأقابل ذلك المسخ أثناء بحثنا عن هذا الـ (ماتوبو) ..

كان الوطنيون يشوون غزالاً وهم يثرثرون بالإسبانية أو لغات محلية أخرى .. ملت أسأل العالم الأمريكى :

ـ « هل تتوقع أن نجده برغم هذا الصخب .. مشكلة هذه الكائنات أنها لو وُجدت تكون خجولاً جداً .. »

ـ « على الأقل سوف نجمع شهادات الشهود .. معنا مترجم ، لا آمل فى الكثير من الحظ الحسن .. »

جاءت (مارجريت) العالمة التى تعمل مع هذا الفريق ، وقالت فى شىء من الحرج :

ـ « مشكلة المرأة هى أنها لا تجد حريتها كاملة عندما تكون مع فريق من الرجال .. أريد قضاء حاجتى ولكن .. »

بما عُرف عنى من تهذيب وكياسة أشرت لها خلف حزام الأشجار وقلت فى مرح :

ـ « اذهبى إلى أى مكان هناك .. لديك غابات الأمازون كلها ! »

لكن وجهها احمر ودنت منى أكثر لتهمس :

ـ « أنت لا تفهم .. لابد من شخص يرافقنى .. أنا لن أجتاز هذه الأشجار وحدى .. وبما أنك جنتلمان .. »

وهل عُرف عنى أننى خبير فى مرافقة النساء الراغبات فى قضاء حاجتهن ؟ شىء يثير الغيظ دعك من أنه لا يخلو من إهانة .. لماذا أنا بالذات ؟ المرأة لا تخجل ممن لا تعتبره رجلاً .. تذكر كيف تنزع الملكة ثيابها أمام الأغوات بلا خجل لأنها لا تراهم رجالاً على الإطلاق .. من المفيد لصحة الرجل النفسية أن تخجل منه المرأة وتهابه نوعًا ..

لكن اللياقة هى اللياقة ..

هكذا نهضت .. أخذت كشافًا كهربيًا ، فقال لى العالم الأمريكى باسمًا ، وقد فهم ما هنالك :

ـ « لا تتأخرا ولا تتوغلا بعيدًا .. »

قلت فى رقة :

ـ « هذا يتوقف على إصابتها بالإسهال من عدمه .. »

ومشيت والعالمة الأمريكية خلفى لنجتاز نطاق الأشجار .. مشهدًا مسافة لا بأس بها أبدًا ..

دخلنا بقعة مظلمة .. فتشت بدقة عن أرض نظيفة جافة وسط هذا المكان الرطب الذى يذكرك بمستنقع .. الرطوبة عالية جدًا والحشرات توشك على أن تمزقك ..

نظرت لأعلى بالكشاف كى أتأكد من أن ثعبان الأناكوندا المعتاد لن يثب من الشجرة ليخنقها .. ولا الفهد عندك .. ثم فتشت الأرض بعناية كى أتأكد من أنه لا يوجد أى عقرب من عقارب أمريكا الجنوبية القاتلة ..

لحظة ..

كان هناك وحش هنا .. هذه الأقدام المخلبية تدل على ذلك .. لكنه قد ابتعد على كل حال .. لا أعرف نوعه لأننى لم أكن فى فريق الكشافة ..

أشرت لها إلى البقعة وقلت وأنا أبتعد :

ـ « خذى راحتك .. أنا واقف خلف تلك الأشجار .. »

أظرف ما فى الموضوع انها تعتقد أننى قادر على مصارعة ذلك الفهد الذى سيثب فوقها ، أو أن أحطم عظام الأناكوندا التى ستهشم قفصها الصدرى .. لسبب ما اعتبرتنى (طرزان) ..

وقفت أنتظر وأصغى للغابة ..

لا أدرى هل أنا أحلم أم أن هناك ضوضاء تأتى من جهة المعسكر .. لابد أنهم يحتفلون .. لابد أن فريق (ناشونال جيوجرافيك) يصور هذا كله ..

بعد قليل عادت لى (مارجريت) وقالت إنها شاكرة .. هززت رأسى.. فقط التعبير الوحيد الممكن عن الشكر هو ألا تلمسينى من فضلك لأنه لا يوجد ماء هنا ..

ومشيت معها عائدين إلى المعسكر ..

معسكر ؟

* * *

لم يعد هناك شىء ..

المعسكر كما عرفناه تحول إلى فوضى كأن قنبلة ذرية انفجرت فيه ..

النيران تشتعل .. المقاعد مقلوبة .. الخيام ممزقة .. هناك ثلاث جثث ممزقة الحلوق ملقاة هنا وهناك ..

نظرت لها ونظرت لى فى رعب ..

ماذا حدث ؟ وهل تأخرنا عشر دقائق أم عشرة أيام ليحدث هذا كله ؟

ماذا جرى هنا ؟ لا يوجد جرحى .. أين الباقون ؟ لا يوجد من يحكى لنا أى شىء ..

قالت بصوت كالفحيح :

ـ « (مانويو) ! »

ـ « هل هو قادر على هذا ؟ لو كان هو (كنج كونج) ذاته فلا أحسبه يستطيع هذا بتلك السرعة .. »

ـ « إنه شرس سريع الحركة .. بالفعل لا أحد سواه يقدر .. »

ثم أشارت إلى آثار أقدام على الأرض الترابية وهتفت :

ـ « هل ترى ؟ كان هنا ! »

نفس الآثار التى رأيتها عندما انتظرتها .. لكن .. الآثار التى رأيتها كانت تبتعد باتجاه الغابة .. متى جاء هذا هنا ؟

دوى صراخ وحشى بين الأشجار فهتفت :

ـ « لربما عاد ..!.. يجب أن نفر من هنا .. »

هكذا انطلقنا فى الأحراش لا نهتدى بشىء إلا ذلك الكشاف .. كانت فكرتى بسيطة جدًا هى أن نمشى فى اتجاه غير الذى تتجه له آثار الأقدام الواضحة فى الوحل .. على الأقل نحن نبتعد بهذه الطريقة ..

مشينا كثيرًا جدًا .. والمشى فى غابة الأمازون شاق لا يمكن وصفه ..

لا أعرف كيف لكن آثار الأقدام تزداد قوة ووضوحًا برغم أن ذلك الكائن مشى من هنا منذ ما لا يقل عن ثلاث ساعات ..

فجأة توقفنا ..

رأيت فى ضوء الكشاف ذلك الصبى الصغير يجلس القرفصاء على حجر بين الأشجار .. كان يبدو لنا ..

عارى الجذع يبدو واضحًا أنه من أبناء القبائل هنا ..

دنونا منه أكثر .. رفع وجهه لنحوى .. هنا أطلقت شهقة ..

كانت عيناه حمراوين بلون الدم .. وله أنياب مدببتان كأنه جنى غابة يحترم نفسه .. وحينما فتح فاه رأيت أن لسانه ذات لون أخضر كأنه كان يلوك بعض الأعشاب ..

هذا الصبى جنى غابة أو شيطان ، لا شك فى هذا ..

تراجعت بينما هو ينظر لى بثبات ..

قالت (مارجريت) وهى تمسك بيدى :

ـ « إنه الكوروبيرا ..!.. فليرحمنا الله ! إنه الكوروبيرا « Curupira »

قلت لها فى دهشة :

ـ « كنت تتحدثين عن وحش آخر هو الـ (ماتوبو) .. »

ـ « هما نفس الشىء .. إن له اسمين ! »

الآن أفهم .. هذا هو حرف الـ C الخاص بسى .. شيطان الغابات فى أمريكا الجنوبية .. الطفل الشرس المتوحش الذى يمزق الصيادين .. أحيانًا يرسمونه ، وهو يركب خنزيرًا بريًا .. مشكلة هؤلاء القوم فى (لاشولال جيوجرافيكس) هى أنهم كانوا يتكلمون عن شيطان غابات ولم يحددوا صفات أكثر دقة ..

قلت لها وأنا أتراجع وضوء الكشاف لا يفارق هذا الكائن المريع :

ـ « لا أفهم .. آثار أقدامه توضح أنه جاء من هنا ليتجه نحو المعسكر ويهاجم رفاقنا .. كيف وجدناه هنا مع أننا مشينا عكس آثار الأقدام ! »

ـ « تذكرت السبب الآن .. لأن قدميه .. قدميه .. »

في هذه اللحظة وقف الصبي للمرة الأولى فقهقه الشر .. إن قدميه متجهتان للخلف !

هذه هي الطريقة التي يخدع بها أعداءه .. يحسبون أنهم قربوا منه وهم يقتربون .. يحسبون أنهم يدنون منه وهم في الحقيقة يبتعدون ..

الكوروبيرا شيطان أمريكا الجنوبية ذو القدمين المعكوستين !

كان هذا قبل أن يشب في الهواء برشاقة لا توصف ..

وفي اللحظة التالية كان يهشم فرق (مارجريت) بمزق حلقها بأسنانه الحادة ..

جريت .. جريت ..

لكني كنت أعرف أنه لن يستغرق وقتاً ..

لقد قتل كل رجال الحملة في خمس دقائق .. فكم يستغرق من الوقت مع واحد مثلي ؟

* * *

D

الرابعة صباحاً ..

لماذا أنا هنا ؟ لماذا أقف في هذا البرد ؟

هذه كنيسة في بلد أوربي ما ..

أنا أقف بالخارج ليس هناك جليد ولا مطر ، لكن الجو بارد ..

لا جرأة في هذا في الرابعة صباحاً ..

أرتجف وأدس يدي في جيب المعطف .. أجراس الكنيسة تدق .. هل هو عيد ما .. لا أعتقد .. الثلج هو الذي يميز الكريسماس في الخارج .. ربما كان هذا هو عيد القيامة ؟

يقترب مني ذلك الرجل العجوز الذي يلبس ثيابًا حال لونها .. لحية نصف نامية .. قبعة .. معطفاً ثقيلاً .. زجاجة بيرز طرفها من جيبه .. يلهث مما يدل على أن مستوى الحموضة في دمه عال حقاً ..

يقول :

ـ « الطقس بارد يا زميل .. »

أنظر له في دهشة .. زميل ؟

هنا يمر أحد المصلين خارجًا من باب الكنيسة .. قبل أن أفهم ما يحدث وجدت قطعة عملة في يد الرجل وفي يدي !

قال الرجل في مرح :

ـ « يصيرون كرماء جدًا الليلة .. ليلة صيام القديس (مارك) .. أنت غريب .. أليس كذلك ؟ »

هززت رأسي شاعرًا بأن قطعة النقود تحرق كفي .. إذن أنا أبدو متسولاً ..

قال الرجل وهو يخرج الزجاجة من جيبه :

ـ « هل لك في جرعة ؟ لا .. ليكن .. سأشرب لي ولك .. في هذه الليلة يظل الجميع ساهرين ، لكنهم يراقبون الكنيسة .. أنت تعرف هذا .. الرابع والعشرون من أبريل .. »

ثم ضحك طويلاً وقال :

ـ « لكن لك أن تطمئن .. أنا لست منهم .. »

ثم قرب فمه ذا الرائحة الكريهة من أذني وقال :

ـ « بيني وبينك .. يعتقد الكثيرون أن هذا يحدث في منتصف الليل .. هذه خرافة .. الموعد المحدد هو الرابعة صباحًا .. »

إذن هو الآن .. لكن ما هو بالضبط ؟

قال لي المتسول العجوز :

ـ « اسمي (ميلر) .. أنا في السبعين اليوم .. هذه سن كانت تستحق الراحة ، لكن لا راحة .. والسبب هو هذا السم .. »

ولوح بالزجاجة في وجهي وقال :

ـ « ماتت زوجتي وتخلى عني أولادي .. اليوم أنا لا أملك قرشًا .. كل ما أفعله هو أن أتسول .. من الغريب أن يتسول المرء في الرابعة صباحًا لكن ليلة القديس (مارك) تختلف .. »

وأشار إلى البلدة التي لاحظتها الآن لأول مرة ..

بلدة أوروبية صغيرة يمكن أن تكون جميلة .. هنا يمكن أن يكتب الأخوان (جريم) عشرات من قصصهما .. هنا لا تمشي الفلاحات إلا بحذاء خشبي ، وكل بيت له سقف خشبي مائل ومدخنة ..

لكن البلدة ما زالت في الظلام .. أنوار نوافذها مضاءة .. ثمة شيء يوحي بأنها تنتظر ..

قال لي المتسول العجوز :

ـ « لا يغرنك هذا الصمت .. هناك من ينتظر خلف نافذته في قلق .. هناك من سيأتي ليلقي نظرة .. »

بالفعل بعد قليل ظهر عدد من الأهالى ..

كانوا متأنقين كأنهم ذاهبون لقداس الأحد .. لكنى لاحظت أنه لا أطفال .. فقط رجال ونساء .. نظرات قلقة فى العيون ..

يقفون قرب الكنيسة حيث وقفت أنا ويتبادلون النظرات .. البعض يمسك بأيدى من يقف جواره ..

ماذا يحدث هنا ؟

ثمة شىء مخيف لكنى لا أعرف ما هو ..

* * *

فجأة تعالت الصيحات :

ـ « لقد جاءوا ! »

ورأيت الكل يتراجع للخلف .. فعلت مثلهم غير فاهم ..

رأيت موكبًا آخر من رجال ونساء وأطفال يمشى فى تؤدة متجهًا إلى الخلاء أمام الكنيسة ..

من هؤلاء ؟ من أين جاءوا ؟؟

كانوا يمشون ببطء وثبات .. وجوه شاحبة صامتة .. لا ينظرون لى ..

وسمعت الناس يتصايحون :

ـ « هذا (فرانتس) !.. هذه (هيلجا) ! يا للعجب ! (هيلجا) قبل زوجها ؟!؟ »

فجأة رأيت المتسول (ميلر) الذى وقف جواره .. رأيته يمشى وسط هؤلاء القوم .. نظرت جوارى لأرى كيف ومتى استطاع أن ينضم لهؤلاء بهذه السرعة ..

لكنى وجدته ما زال واقفًا جوارى !

إن له أخًا توءمًا كما هو واضح .. يبدو مثله ويمشى مثله وسط هؤلاء القوم الذين يشقون طريقهم نحو الخلاء فى هذا الموكب المرجف ..

نظرت لـ (ميلر) فوجدت فمه ملتوحًا فى ذهول .. سقط فكه وتقصد جبينه بالعرق .. أخرج منديلاً عملاقًا وراح يجفف جبينه ..

قال وهو يرتجف :

ـ « ولكن .. لكن .. إن سبعين عامًا ليست بالشىء البسيط .. »

سألته فى حيرة :

ـ « هم تتكلم بالضبط ؟ »

نظر لى بعينين زائغتين .. ثم قال وهو يجفف عرقه :

ـ « أنت لا تعرف شيئا على الإطلاق .. في ليلة الرابع والعشرين من إبريل نقف هنا خارج هذه الكنيسة وننتظر .. هنا نرى موكب الـ Doppelgungers .. القرناء .. هؤلاء الذين سيموتون في العام القادم .. هؤلاء ليسوا بشرًا حقيقيين .. إنهم أطياف .. ما تراه أنت هناك هو قرينى .. معنى هذا أن نهايتى قد دنت .. دنت .. دنت .. »

وأفرغ زجاجة الخمر وراح يعب منها كالحمار الظمآن ..

هنا تذكرت القصة كلها .. هناك نوعان من هذه الأشباح في الثقافة الغربية .. شبح هو النذير أو Wraith ومعناه أنك تقابل شبحًا يجمد الدم في عروقك ، ثم تكتشف أن صاحبه حي وفي مكان آخر بعيد .. على الأرجح يعني هذا أن صاحبه سيموت قريبًا .. النوع الثاني هو الـ Doppleganger أو القرين .. وهي لفظة ألمانية معناها (السائر المزدوج) .. معنى أن ترى القرين الخاص بك هو أنك ـ لا سمح الله ـ في آخر أيامك ..

من الطرق المعروفة لرؤية موكب القرناء هذا أن تقف خارج كنيسة في عيد القديس (مارك) لتراقب الأطياف التي تظهر في منتصف الليل ..

حسن .. يبدو أن الرابعة صباحًا رقم أدق ..

الآن عرفت ما سيحدث وما سألقاه ..

إنها الرابعة صباحًا .. وأنا على موعد مع خطر أو مسخ يبدأ اسمه بحرف D ..

إذن نحن نتكلم عن الـ Doppleganger الخاص بي ..

فقط يجب أن أبحث عنه بعناية وسط هذا الزحام ..

هو ذا .. هل تراه ؟

هناك وسط الصف المتحرك يوجد (رفعت إسماعيل) آخر شاحب .. يمشي في صمت ..

ينظر لي حيث مشى وسط الآخرين ..

خيل لي للحظة أنه ابتسم ابتسامة خاطفة ، ثم واصل المشي مع من كانوا معه ..

* * *

E

الخامسة صباحاً ..

ضوء الفجر الحزين الجميل يتسلل إلى الأفق .. كما يتسرب الدم ليصبغ الماء عندما يجرح أحدهم أثناء السباحة .. لن أدهش لو رأيت سمكة قرش عملاقة تسبح في الأفق ..

أرى تلك الأجسام العملاقة على الساحل كأنها وحوش غافية .. عملاقة تنتظر لحظة الإيقاظ لتفطر بي ..

جزيرة عيد الفصح Easter island .. هكذا سماها المستكشف الهولندي الذي رسا على ساحلها عام 1722 في عيد الفصح ..

جزيرة مساحتها نحو مائة كيلومتر مربع في جنوب المحيط الهادي .. وهي تخص حكومة (شيلي) ..

لكن هذه الجزيرة تشتهر بتلك التماثيل العملاقة التي تمثل وجوهاً بشرية تنتشر على الساحل .. لا أحد يعرف من صنعها ولا متى . من المؤكد أن سكان الجزر الأصليين كانوا من هنود أمريكا الجنوبية ، ثم جاء البولينيزيون بقواربهم وأبادوا هؤلاء السكان وعاشوا على الجزيرة .. فقط ليجدوا من يذبحهم بدورهم ، بحيث لم يعد منهم سوى مائتي بولينيزي يسكنون على الساحل الغربي للجزيرة ..

حالياً هناك مائة تمثال يتراوح ارتفاعها بين ثلاثة أمتار و12 متراً .. كل مجموعة تماثيل ترتكز على منصة تدعى (آهو ahu) .. وبين هذه المنصات كهوف ..

جزيرة عيد الفصح Easter island ..

وأنا هناك في ضوء الفجر ..

الساعة الخامسة ومعنى هذا أن تلك التماثيل هي كابوسي الحالي ..

* * *

لا أعرف أين يوجد الفندق ..

لا أعرف أي شيء على الإطلاق سوى أنني أمشي على الرمال الشاسعة ومن بعيد أسمع هدير أمواج البحر ..

أتقدم نحو أكبر هذه التماثيل ..

تصور تمثالاً يدنو ارتفاعه من أربعة طوابق ! مشهد يثير الرجفة في القلوب .. هذه نعمة قديمة جداً لدى الكهنة في كل عصر .. عندما يعوزك المنطق فعليك بالضخامة !

كانت واقفة هناك بين تمثالين ..

تلك السمراء الجميلة التي بدل كل شيء فيها على أنها من أصل أسباني .. تبدو كالحلم في ضوء الفجر ..

تقول لى بالإنجليزية :

ـ « أنت دقيق فى مواعيدك يا (رفعت) .. لقد جئت فى الخامسة صباحاً بالضبط .. »

هززت رأسى بطريقة من يقول (ألم أقل لك ؟) .. طبعًا لم أقل حرفًا عن كونى لا أعرف من هى ولا كيف جئت هنا ..

قالت لى وهى تنظر للسماء :

ـ « الآن .. قلت لك إن هذا يحدث فى الخامسة صباح كل يوم .. »

رفعت رأسى للسماء لأرى اللون الأحمر قد تزايد فى الأفق الشرقى ..

ماذا تتوقع أن تراه ؟

فجأة شهقت من الدهشة .. كانت تلك الأضواء تتلاعب بين الغيوم .. لا شك فى هذا .. أقراص مضيئة تروح وتجىء بلا انقطاع وتتقابل ثم تتباعد ..

ثم سقط شعاع على التمثال الذى يقف جواره فتألق بلون أزرق غامض ..

قالت وهى تشهق انفعالاً :

ـ « هل ترى هذا ؟ هل فهمت .. إنهم جاءوا هنا منذ أعوام سحيقة .. فى فجر التاريخ .. البوليتيزيون حسبوهم آلهة ونحتوا

هذه الوجوه البركانية الصلاقة على سبيل استرضائهم .. هذه هى وجوههم .. هكذا بيدون ! »

ـ « من الذين جاءوا ؟ »

أشارت إلى السماء وقالت :

ـ « لماذا لا تسألهم بنفسك ؟ »

ثم مدت يدها الدقيقة تمسك بيدى وراحت تتسلق الصخور .. نحو واحد من تلك الكهوف بين التماثيل ..

قالت لى وهى تلهث :

ـ « فى هذه الكهوف سوف ترى أول نموذج للكتابة بالرسم .. هنا كان البوليتيزيون يعيشون .. »

ثم أضاءت كشافًا وطلبت منى أن أتقدمها إلى الداخل ..

كان الكهف مظلمًا ..

يبدو أنه كان مطروقًا .. يانطبع لم يترك السياح حجرًا فوق حجر هنا ..

لكنها اقتادتنى إلى ممر جانبى وسلطت ضوء الكشاف على الجدران ..

شهقت انبهارًا للمرة الثانية ..

كانت هناك رسوم دقيقة غاية فى الروعة .. تظهر تلك الأضواء الغريبة التى رأيناها فى السماء .. ثم كانت هناك رسوم تظهر كائنات عجيبة لها رءوس كرءوس تلك التماثيل تمشى بين الأهالى وهم يجثون راكعين .. هناك رسوم للتماثيل ذاتها .. ثم هناك رسم لكاهنة تقف راقصة يديها أمام تلك الأضواء .. إنها تقدم قربانا بشريًا .. ترفع سكينًا نحو السماء ..

قلت لها فى انبهار :

ـ « يبدو أن هذه صورت لبيئة تمارس فى فترة من الفترات .. »

قالت وهى تطفئ الكشاف :

ـ « ما زلت .. إن البولينيزيين الباقين هنا ما زالوا يؤمنون بها .. »

ثم هزت شعرها الجميل وقالت :

ـ « إن عملى كدارسة للثقافات الشعبية جعلنى أختلط بهم بشكل متكرر وأعرف يقينًا أنهم يؤمنون بهذه الأشياء ، لكنهم يخفون معتقداتهم عن الحكومة .. »

فى وسط الكهف كان هناك سرير حجرى .. وهو ملوث بالدم .. ثم جاف لكنه ليس قديمًا لهذه الدرجة ..

قلت لها وأنا أتفحص السرير :

ـ « لا يبدو قديمًا لهذا الحد .. »

ـ « قلت لك إن العقيدة ما زالت تُمارس .. »

نظرت لساعتى .. لقد حان وقت الرحيل إذن ..

لكنى على باب الكهف رأيت ستة من هؤلاء البولينيزيين .. كانوا يلبسون ثيابًا عصرية لكن ملامحهم ، وكل شىء فيهم يدل على أنهم بدائيون تمامًا ..

كانوا يحملون سيوفًا غريبة الشكل لها فصل مربع .. وكانت عيونهم تلمع فى الظلام ..

قالت الفتاة ، وهى تصوب الكشاف على رسوم الجدار :

ـ « من الغريب أنك لم تدقق فى الصورتين الأخيرتين .. »

عدت أنظر ..

كانت الصورة تمثل رجلاً نحيلاً أصلع الرأس ينظر للسماء .. الرجل النحيل يمسك بيد الكاهنة التى تقوده لكهف .. ثم الرجل النحيل ينام كقربان بشرى على مائدة التقدمات ..

رفعت عينى نحوها فقالت ضاحكة :

ـ « هذه ليست رسومًا جديدة .. إنها تعود لثلاثين ألف عام ! هل تتصور هذا ؟ منذ ثلاثين ألف عام رأى هؤلاء القوم تلك اللحظات التى نمر بها الآن .. »

ثم همست ، وهى تغمض عينيها :

ـ « نحن نؤمن أنه لابد من نماء بشرية وإلا فلن يعود هؤلاء من السماء .. كل شىء معد لعودتهم لكنهم لا يأتون .. لماذا ؟ لأن الأرض لم ترتو بما يكفى ! »

ألقانى البوليتيزيون على المائدة ، وقيدوا يدى وقدمى ..

ومن مكان ما أضيئت عدة مشاعل ..

خارج الكهف ما زالت الأضواء تتراقص فى السماء ، بينما التماثيل العملاقة تنظر فى لا مبالاة إلى البحر ..

وأنا ..

أنا طقس مهم من طقوس تلك العبادة المنقرضة ..

لقد حللت اللغز لكن متأخرًا جدًا ...

F

قالت لى د. (عزة) وهى تقف خارج القفص :

ـ « إنه يتعلم .. أنا واثقة من ذلك ... »

كانت قد أطلقت عليه اسم (قيرو) .. لا أعرف السبب بالضبط ، لكن الاسم بدأ ينطبق عليه بعد قليل .. هذا شأن أى اسم مهما بدا لأنيك شاذًا غير مريح .. لو أنك أطلقت على قطك اسم (السلحدار) فسوف يصير هو (السلحدار) فعلاً بعد أيام ، ولن تتصور أن أى اسم آخر كان يناسبه سوى هذا ..

لكن لماذا يضعون الصبى فى القفص .. يبدو لى الأمر غير مريح على الإطلاق ..

كانت د. (عزة) خبيرة فى علم نفس الطفل ، لذا توقعت أنها تملك حيلاً أفضل من وضعه فى قفص كأنه وحش كاسر .. لكنها أشارت لى إلى يدها التى امتلأت بالجروح وقالت :

ـ « هذه هى نتيجة التعامل الرفيق الحنون معه .. »

ثم بدأت تحكى لى القصة التى كنت أعرفها على كل حال ، وإن كانت التفاصيل عندى أقل ..

* * *

www.liilas.com/vb3

كان المهندس (عدنان) وزوجته وطفلهما الصغير (حسن) هم الذين جرى البحث عنهم عدة أيام بلا جدوى منذ سبعة أعوام ..

لقد كانت طائرة الشركة تعبر الصحراء عندما انقطع الاتصال .. فقط كان آخر ما تمكنوا من تسجيله هو صوت ضجة وصراخ من الطيار ، ثم انقطع كل شيء ..

حلقت الطائرات تمسح الصحراء .. وخرجت عدة قوافل من الجمال للتفتيش في المكان الذي يعتقد أن الطائرة سقطت فيه ، فلم يجد أحدهم شيئاً .

هكذا تم اعتبار المهندس وأسرته مفقودين .. وهي مأساة حقيقية إذا تذكرنا أن المهندس كان يصحب أسرته للمرة الأولى لتعيش معه في مقر عمله ..

نسي الجميع ما حدث ..

لكن منذ أسابيع كانت سيارة جيب تعبر لقطة من الصحراء الغربية عندما خيل لركابها أن هناك طفلاً يركض في الصحراء .. كان يجري على أربع ويثب فوق الكثبان الرملية ببراعة غير مسبوقة .. الغريب أن مجموعة من الضباع كانت تركض حوله وخلفه ..

هكذا راحت السيارة تطارده ، وترجل الراكبون وهرعوا خلف الكثبان ..

صحيح أنهم لم يملكوا رشاقته لكنهم تغلبوا على هذا بكثرة عددهم .. وسرعان ما تمكنوا من القبض عليه ..

كان عاريًا تمامًا .. عمره يناهز سبعة الأعوام .. وكان قذرًا بشكل لا يُطاق ..

عندما أمسكوا به راح يخمش ويعض بأنيابه الحادة ، واتضح أنه لا يعرف حرفًا واحدًا من اللغة .. فقط كان يزأر ويزمجر كالوحوش ..

في مكان ما تذكر أحدهم قصة عن طفل فقد مع أبويه منذ سبعة أعوام ..

وهكذا بدأت القصة تتضح ..

هذا الصغير هو (حسن) بالتأكيد ...

* * *

قالت د. (عزة) :

ـ « الأطفال الآبدون Feral Children هم الأطفال الذين فقدوا في البرية ، وقامت الوحوش بتربيتهم .. طرزان ـ برغم أنه شخصية خيالية ـ هو النموذج الأشهر للأطفال الآبدين .. بالتالي هم يعجزون عن التفاهم بلغتنا .. »

كنت أعرف شيئًا عن هذا الموضوع .. إن العلم يحكي عن 40 طفلاً من هذا النوع ، في كل العصور وفي كل موضع من العالم تقريبًا .. هناك قصة الولد الذئب التي تعود لعام 1341 .. قصة بيتر هانوفر الذي وجدوه عام 1724 .. قصة الصبي الخروف الإيرلندي التي تعود لعام 1672.. والصبي الدب البولندي ..

هناك قصص تبين أنها كاذبة ، ومنها قصة (كامالا) و(آمالا) الهنديتين اللتين قيل إنهما نشأتا بين القردة عام 1920 ..

لكن هناك قصة مثيرة عن الصبي الأوغندي (جون سبوتيا) الذي تربى مع القردة وقد عرفه العالم في الثمانينات من القرن العشرين .. كان الجميع يعتقد أنه نصاب ، حتى جعلته خبيرة تخاطب يجلس مع مجموعة من القردة العليا ، ولاحظت الأصوات

التي يصدرها ، وكيف أن مجتمع القردة تسأقلم معه على الفور ، وراقبت في ذهول كيف ظل يتفاهم مع القردة لعدة ساعات . بعدها أعلنت للعالم أن القصة حقيقية ، وأن هذا الصبي قضى مع القردة فترة لا تقل عن خمسة أعوام ..

الآن نحن نقابل أول حالة يعرفها العالم عن صبي نشأ مع الضباع ..

لقد أطلقت عليه (عزة) اسم (فيرو) لتوفر على نفسها عناء لفظ عبارة Feral Child في كل مرة .. كانت خبيرة في تلسبة الأطفال ، وقد جهزت له هذه الغرفة في المستشفى الخاص الذي تعمل به .. غرفة هي أقرب شيء إلى عرين الأسود في حديقة الحيوان . وقد وجدت التمويل لدى إحدى الجهات البحثية المهتمة بالأمر ..

قالت لي وهي تتأمله من وراء القضبان ، وهو يلتهم قطعة كبيرة من اللحم المسلوق :

ـ « إنه يعرف قصصًا مثيرة كثيرة .. لابد أن حياته مع الضباع جديرة بأن تدوّن بدقة .. لكني أخشى أن ينسى كل شيء يوم

يستعيد النطق .. هذا يحدث على فكرة مع معظم هؤلاء الأطفال الآبدين .. »

كانت قد طلبت رأيي المزدوج لسببين .. السبب الأول هو قدر الدم المستحصى الذي وجدوا أن الصبي يعاني منه .. السبب الثاني هو خبرتي بالأمور الخوارقية .. طبعًا لم أقدم لها الكثير في الموضوع الثاني لأنني لم أر شيئًا كهذا من قبل ...

قلت لها :

ـ « على كل حال .. عملك هو أن تعيدي لهذا الصبي بشريته .. ليس عملك كتابة مذكراته .. فليس كل شيء عن حياة الضياع .. فليعش حياة طبيعية ... »

قالت لي :

ـ « تعال إلى مكتبي لتشرب القهوة وتشرح لي وجهة نظرك في القصة .. »

هكذا جلست عندها وسمعت منها وسمعت مني .. وفي ساعة متأخرة من الليل انصرفت عازمًا على أن أنسى القصة برمتها ..

* * *

في السادسة صباحًا اتصلت بي في بيتي مذعورة ..

سألتها عما هنالك فقالت وهي موشكة على البكاء :

ـ « القفص خاو ! لقد هرب ! »

ـ « كيف ؟ إنه لا يستطيع الطيران حتمًا .. »

ـ « إنه صغير الحجم ومرن . أعتقد أنه حشر جسمه بين القضبان حتى استطاع الخروج .. »

ـ « متى حدث هذا ؟ »

ـ « غالبًا تم في الليل .. لقد دخلت اليوم لأقدم له الإفطار فلم أجده .. أرجوك أن تأتي يا دكتور .. أنا عاجزة عن التفكير .. إنه شديد الشراسة ويمكن أن يسبب كارثة .. سنه مسنن سنوات ثعلبه قوي كالأفيال .. »

كان هذا مما يثير الغيظ .. أليس عندك رجال أمن ورجال شرطة .. أليس عندك بوابون وعمال .. ما دوري أنا في هذا ؟

لكنها كانت في حال هستيرية حقيقية ؛ لذا ارتديت ثيابي وهرعت إلى سيارتي .. استجاب المحرك اللعين لي بعد 5686 محاولة .. أكاد أسمعه يتذمر بسبب إيقاظه مبكرًا ..

الطقس بارد .. هذا موعد نومي .. لكن ما باليد حيلة .. هناك طفل آيد يجب القبض عليه ..

كانت في ذهني خطة واضحة ..

هناك مقابر قريبة جداً من المستشفى الخاص .. لو تم يتجه الضبع إلى المقابر فأين يذهب إذن ؟

سوف أبحث عنه هناك ..

أدرت المقود واندفعت عبر شوارع المدينة الخالية ..

من أين يأتي صوت هذا الخوار المكتوم ؟

هذه الرائحة الكريهة ..

لا أفهم ..

ثم شعرت بالأنفاس الحارة على عنقي من الخلف ..

أنظر لمرآة الرؤية الخلفية فأراه .. أرى (فيرو) يقف على المقعد الخلفي وقد دنا من أوردة عنقي .. أسنانه الحادة ونظرته الشيطانية تذكرني بضبع حقيقي .. ما كل هذا الخوار .. ما سر هذه الأنفاس اللاهية ؟

لقد قرر ليلة أمس بينما أنا أشرب القهوة في غرفة د. عزة .. ثم تكن هناك إلا سيارة واحدة واقفة أمام المستشفى .. وهذه السيارة تركها صاحبها الأحمق مفتوحة الأبواب كالعادة .. من المعجزات الصغيرة أن أتذكر غلق أبواب السيارة الأربعة عندما أترجل ..

الضبع الأعمى يحث عن مكان داخلي فلم يجد إلا المقعد الخلفي لهذه السيارة .. وجعله الضبع ينام على الفور ..

الآن موعد الإفطار .. لقد استيقظ .. وهو بحاجة إلى لحم نيء .. إلى دم .. هذه هي الطريقة كي يُشفى من فقر الدم الحاد الذي أصيب به منذ جاء إلى المدينة ..

خاطبته في المرآة :

- « صبراً يا بني .. اهدأ قليلاً ..! .. أنت لست ضبعاً .. أنت إنسان ! لن تفعل مثل .. »

لكنه كان قد انشب أنيابه فعلاً ..

* * *

G

في السابعة صباحًا يصعب أن تتوقع أن تقابل خطرًا ..

هذا وقت يذكرك بنضرة الأطفال الذاهبين للمدارس .. بشطائر الفول .. بصوت غناء شادية .. يذكرك بأي شيء إلا أن يكون هو الوقت المناسب للرعب ..

لكني أمشي بين المقابر ..

مقابر قريتي (كفر بدر) كما أعرفها وأحفظ كل حجر فيها ..

هنا قبر أبي وأمي .. أتوقف لأقرأ لهما الفاتحة وسورة ياسين .. ثم أبتعد ..

يقابلني ذلك الحداد العجوز وهو يحمل طبقًا من الفول يبدو أنه جلبه من القرية ، وتحت إبطه رغيفان .. إنه يهرع ليفطر بإفطاره ويبدو أنه أعد الشاي والمعسل ..

ـ « كيف الحال يا دكتور ؟ تفضل !! »

لا يوجد خطأ مطبعي . إنما هو مصر طبعًا على فتح الدال في لفظة (دكتور) ..

ـ « أمس كنت عند قبر أبيك وقرأت له سورة (تبارك) .. »

شكرته ولمست بعض الصلة في جبهته لأن يديه كانتا مشغولتين ..

كدت أبتعد لكنه استوقفني وقال :

ـ « لا تذهب نحو الحقل القبلي .. هناك أشياء غريبة تحدث منذ عدة أيام .. فليحفظنا الله .. »

وقبل أن أفهم كان قد جرى يسابق الريح كي يلحق بطبق الفول ساخنًا ..

تركني فريسة للأفكار .. هناك عند هذا الحقل بالذات نبت ذلك النبات الشرير الشيطاني (موكاسا) ، واتضح أنني من قام بإنذاره هناك ليجد حاجته من المتزوجين !

هل تكررت القصة ؟

هكذا مشيت في ذلك الاتجاه ..

وقفت أنظر إلى القبور .. هنا قبر أسرة (المشتاوي) .. وهنا (أبو الدهب) .. لا يوجد شيء غريب ..

ثم سمعت ذلك الصوت ..

نظرت عبر البوابة الحديدية لحوش مقبرة (أبو الدهب) فوجدت من يقوم بالدخل ..

ضخمًا كان .. يرتدي على حافة شاهد القبر في وضع مستحيل فيزيائيًا وقد غطى وجهه وراح يصدر صوت خوار ..

من هذا ؟

متسول أم متسلل .. شيء في مظهره قال لي : إنه لا هذا ولا ذاك ..

جوار المقبرة وجدت ذلك الرقش الذي يستعملونه لتقليب التربة .. لابد أنه يخص اللحاد ونساه ..

هكذا أمسكت بالشيء الثقيل في عناية . هو سلاح ممتاز يصلح لتهشيم الرءوس لو أردت .. ولو حركته في وضع أفقي هو شبيه بالرمح ..

دنوت أكثر من الثائم ..

هنا ارتجفت ..

لقد كانت في يده عظمة .. عظمة آدمية .. وكان يمسك بها كما يمسك الصبي بلعبته وهو خائف ..

نظرت إلى الأرض جواره فوجدت بقايا من كفن ممزق .. ووجدت أشلاء ..

فهمت الآن ما يحدث هنا ..

مغامرتي تبدأ بحرف ي .. نحن نتحدث عن غول Ghoul !!

* * *

فتح عينيه فالتقت عينانا ..

كان يشبه البشر بالتأكيد لكنه أكثر ضخامة وغلاظة .. له أنياب حادة وشعر متكوش مبعثر طويل .. أظفاره أيضا كانت جديرة بغول ..

عينان حمراوان لا تتخلان عن تأملي ..

إنه ينهض .. أدركت أنه يلبس أسمالاً ..

من أين جاءت الغيلان ؟ لا أحد يعرف .. لكن الأساطير تقول إن كل شيء يبدأ بالتهام لحم آدمي من ثم تبدأ هذه التغيرات التشريحية في الجسم .. بالنسبة لي أعتقد أنها مجرد حالات أكل لحوم بشر .. لابد أن هذه العادة الذميمة تغير شكل الشخص تماما ..

هناك من تغير في قريتي أو جوارها . وقرر أن يجد ما يسد رمقه في المقابر ..

كلام اللحاد يدل على أن هذه ليست أول مرة ..

لابد أنه أخفى الخبر لأن غضب الأهالي سيكون عنيفا .. سوف يتهمونه بالإهمال وربما طردوه من هذا المكان ..

أنا الآن أقف أمام الغول لا يفصلني عنه إلا الباب الحديدي ..

يذكرني الأمر بمشاهدة الأسود في حديقة الحيوان ..

لسبب ما لم يستطع أن يفر تحت أستار الظلام هذه الليلة .. ليعود لكوخه أو حيائه البرية .. غلبه النوم فكان حظه الأسود ـ أو حظي الأسود ـ أن ضبطته متلبسا ..

الآن هو يتصل بالسور وينظر لى ..

قلت له بصوت أردته واثقاً فخرج راجفاً :

ـ « اهدأ قليلاً .. من أنت ؟ كيف وصل بك الحال لهذا الحد ؟ »

صدر منه الصوت بصعوبة :

ـ « بـ .. ى .. و .. مـ .. ى .. ى ! »

كأنه طفل يتعلم الكلام ..

ـ « من هو (بيومى) ؟ هل هو أنت ؟ »

ـ « بـ .. ى .. و .. مـ .. ى .. ى ! »

لو حاولت الفرار للحق بى .. لابد من المواجهة أو أن أجعله هو من يفر ..

انتظر حتى تسمع البلدة هذه القصة .. تصور الحملة التى ستحمل المشاعل وتفتش كل ركن فى القرية بحثاً عن مكان هذا المسخ ..

هنا فوجئت به يمسك بالحديد .. يتسلق البوابة بسهولة تامة برغم ضخامة حجمه ..

إنه قادم لى !

تراجعت .. وفى اللحظة التالية وجدته أمامى ..

كان أضخم مما تصورت ..

تراجعت لتختلف أكثر وقلت له آمرًا :

ـ « ابتعد من هنا .. لا أريد أن أؤذيك .. »

ـ « بـ .. ى .. و .. مـ .. ى .. ى ! »

هكذا لم يترك لى الخيار ..

رفعت الرفش وجعلته فى وضع شبيه بالرمح وصوبت به ضربة عاتية بين ضلوع هذا الشىء ..

صرخ صرخة حيوانية .. ثم سقط على ركبتيه والدم يسيل من صدره .. إنه يموت ..

لم أرد أن أترك شيئاً للظروف .. لذا صوبت الرفش ثانية وسددت طعنة أخرى فى بطنه .. فليظل الله لى هذه القسوة . أنا خائف ..

هذه المرة لم يتهاو للمرة الأخيرة كما توقعت ..

رأيته ينهض فى نشاط .. أين ذهب الدم الذى يسيل من صدره .. أين جرح بطنه ؟

ـ « بـ .. ى .. و .. مـ .. ى .. ى ! »

ووثب فوقى فشعرت بأن هناك من فجر جبلاً بالديناميت ليسقط فوقى ..

وجهه على بعد سنتيمترات منى وهو يلعق شفته السفلى بلسانه فى اشتهاء .. رائحة أنفاسه هى بالضبط رائحة كل الوحوش التى لا تأكل إلا اللحم ..

هنا فقط عرفت أنه ليس مجرد آكل لحوم بشر .. إنه غول حقيقى من غيلان الأساطير ..

تحكى الأساطير كيف أن ضربة واحدة بالسيف تقتل الغول .. لكنك لو تحسست ووجهت الضربة الثانية فإنه يصحو ويتعافى من كل جروحه !

أنا ارتكبت هذا الخطأ بسبب الحماس الزائد ..

لكن لا وقت للندم ..

- « ب .. ى .. و .. ه .. ى .. ى ! »

H

الخرائب لها طابع يونانى لا شك فيه ..

أعرف هذا الطبيع الرهيب .. لكنى ـ أعترف ـ لا أشعر بالخوف لأن الثامنة صباحا ليست بالوقت الذى يولد الكائنات المرعبة ..

صحيح أن موعد نومى قد جاء، لكن من المستحيل أن تظفر بشىء من النوم هنا .. لا توجد أرض مستوية فى أى مكان .. ربما أنهى جولتى وأعود إلى الفندق ..

كنت وحيدا .. من الغريب أن أجوب هذا المكان وحدى ، لكن الأخ (لوكيريو) اختار لى هذا ..

تحسست جيبى ..

المسدس معى .. لم أعتد حمله لكن ثقله المطمئن يريحنى ..

أسمع صوت البكاء المكتوم .. آه ! .. كل القصص المخيفة تبدأ ببكاء مكتوم ..

برغم التوجس مشيت إلى مصدر الصوت .. كان هناك خلف عمود إغريقى مهدم .. ثمة عمود سقط بالعرض مما جعله أقرب إلى منضدة يجلس عندها ..

www.liilas.com/vb3

في حياتي لم أر متسولاً أسن من هذا ولا أسوأ حالاً..

رأني فبدا عليه الذعر وتهيأ لينهض ، لكني أشرت له كي يظل حيث هو ..

قلت له بالإنجليزية :

ـ « أنا (رفعت إسماعيل) .. من أنت ؟ »

قال من فم بلا أسنان :

ـ « أنا (فيتيوس) .. هل معك شيء يؤكل ؟ »

مددت يدي أبحث في جيبي فلم أجد شيئاً .. معي بعض العملات ، لذا أخرجت له بعضها .. صاح وهو يدق العمود بعنف وعصبية :

ـ « لا .. لا .. أريد طعاماً ! »

ـ « لكنك تستطيع شراء ما تريد بالمال بسهولة ؟ »

ـ « لا أستطيع الذهاب لشراء شيء .. فقط أريد طعاماً .. يمكنك أن تبتاع لي بعضه .. »

هززت رأسي ..

أحياناً يكون للمتسولين منطق عجيب أقرب إلى الطفولة ..

سألته وأنا أضع العملات في جيبي :

ـ « ماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « أبحث عن شيء آكله .. »

ـ « هل تسكن في هذه الجزيرة ؟ »

حك شعره المليء بالقمل حتماً وقال :

ـ « نعم .. ليس لي مكان آخر .. عندما تغضب قوى النفوذ يكون عليك أن تدفع الثمن .. لا أستطيع أن أفسر أكثر .. فقط ما أستطيع قوله هو أن وضعي صعب جداً وأنني أعاني .. أنا بحاجة للحماية .. »

ثم مد يده يتحسس جيبي في وقاحة وهو يردد :

ـ « لكني أعرف أن معك ما يؤكل .. بالتأكيد .. »

لا أطيق أي اختراق للحماية الفيزيائية حول جسدي .. هذا يعد تهبطاً لا أتحمله .. لذا صحت محتجاً وتراجعت .. فجأة أدركت أنه ليس متسولاً فقط بل هو لص كذلك ..

كان يحمل المسدس في يده وقد بدا كأنه وجد كنزاً ..

صحت فيه وأنا أتقهقر :

ـ « اسمع يا رجل .. هذا المسدس مخطئ .. لا أرى ما يدعو لأن تمسكه بيدك .. يقولون عندنا في العربية (السلاح يطول) .. وهذا معناه أن القتل الخطأ ..... »

لكنه صوب المسدس نحوى .. وقال وفمه يرتجف كأنه جن فجأة :

ـ « اسمع .. سوف آخذ هذا .. أى إننى أستعمل المسدس من أجل الاستيلاء على المسدس ! سوف تبتعد فى هدوء كشاب مهذب وتتركنى أدافع عن نفسى .. »

ـ « تدافع عن نفسك ضد ماذا ؟ أنت مخبول تماما .. »

صوب المسدس نحو رأسى وازدادت ضحكته وحشية وقال :

ـ « المخبول هو من يتهم واحدا مسلحا بأنه مخبول .. »

كنت أعرف أنه لن يطلق الرصاص .. هذه ليست ملامح قاتل .. برغم هذا هى ملامح شخص يائس .. اليائسون يطلقون الرصاص أكثر من سواهم ..

هكذا قررت مراعاة مطالبا إياه أن يهدأ ..

ورحت أتراجع بظهرى ..

أتراجع وعينى لا تفارق عينيه ..

أخيرا توريت عن ناظريه ..

يمكننى الآن أن أفر وأطلب الشرطة .. لكن قوة ما ظلت تبقينى حيث أنا ..

أردت أن أظل قريبا لأعرف ما يحدث فعلا .. لماذا سرق مسدسى ؟ لو كان يريد السطو المسلح لكنت أنا أول عملائه ..

هكذا رحت أزحف بين الأعمدة المتداعية .. أزحف ..

هنا سمعت أول طلقة ..

ارتجت لها الخرائب وسمعت صرخة غير آدمية .. صرخة مروعة كأنها صرخة غراب عملاق ..

طلقة أخرى ..

ما الذى يقتله ؟ أعتقد أن هناك وحوشا أو حيوانات ما .. هذه الأصوات ليست بشرية ..

رائحة البارود فى هواء الصباح النقى .. أقترب أكثر وأنا أزحف على بطنى .. أتفلس النظر إلى حيث كان العجوز ..

كان الرجل يجلس أمام العمود الذى اتخذه كمنضدة .. لكن العمود امتلأ بقطع اللحم والجبن والخبز والفاكهة .. هذا الرجل كان يخفى الكثير من الطعام . فما قيمة هذه التمثيلية التى كان يستجدينى بها ؟ سلوك المستوائين واحد فى كل مكان وزمان وهو خداعك ..

لكنى رأيت أمامه ـ على بعد مترين ـ شيئا غريبا ..

كان كائنًا أقرب إلى امرأة .. لكنها كانت بجناحى وذيل طائر .. وكانت لها مخالب عملاقة .. قلت إنها تبدو كامرأة لكن أية امرأة ! لم أر قط كائنًا بهذه البشاعة وهذا القبح .. وحتى من مكانى أدركت أن رائحتها الكريهة تزكم الأنفاس ...

كانت تحلق على ارتفاع متر من الأرض تحاول النلو منه . لكنه أطلق عليها طلقة رصاص أخرى فصرخت تلك الصرخة المريعة وسقطت تتلحط فى دمها . بينما جناحاها لا يكفان عن الاختلاج ..

أطلق العجوز صرخة ابتهاج وانقض على الطعام يلتهمه وهو يضحك كالمجنون ..

لحظة استمعت روعى ورقدت على الأرض أستوعب ما رأيت ..

هرف .. !!

أتذكر الآن الوحش اليونانى الذى كان يحمل هذه الصفات الكريهة .. الهاربى Harpy !

الكائنات القادمة من عالم الموتى (هيدس) ! .. لقد حكت الأساطير اليونانية عن عملية التعذيب التى مارستها ضد الملك (فينيوس) حينما حرمته من الطعام .. سواء يخطف الطعام من يده . أو بتلويثه .. حتى أنقذه (جيسون) ومحاربوه من (الأرجونوتس) ..

لقد رأيت الآن هذا المشهد حرفيًا فيما عدا أن الهاربى ماتت بالرصاص ..

أسطورة يونانية رهيبة أخرى تحدث فى عصرنا ..

استدرت لأفر من هذا المكان المخيف .. تعثرت كثيرًا وسط الأحجار والأعمدة .. ثم رأيت الظل فوق رأسى .. شممت الرائحة الكريهة قبل أن أرى أى شىء ...

رفعت عينى لأرى ذلك الكائن المجنح الطائر يهبط ليخطف أساسى .. الأبواب والمطالب كلها تتجه لحوى أنا ..

وليس المسمى معى بل مع هذا الأخ الجائع (فينيوس) ..

تذكرت أن الهاربى كن ثلاث أخوات .. (أيلو) و(سيلاتو) و(أوسيبتى) ... نسيت أن هناك اثنتين ما زالتا حيتين ..

تذكرت كذلك أن مهمتهن الرئيسة لم تكن تجويع الملك (فينيوس) ..

لقد جئن من عالم الموتى كى يخطفن هؤلاء الحمقى العنيدين الذين يرفضون أن يموتوا !!

بعبارة أخرى : كن يقتلن البشر الذين لا يقبلون فكرة الموت ..

* * *

I

إنها التاسعة صباحًا ..

جلست في صبر أنتظر ذلك المسخ الذي بدأ اسمه بحرف I ..

ترى ما هو .. أمسكت ورقة وقلمًا ورحت أعد الظواهر الغامضة أو المسوخ التي أعرفها وتبدأ بهذا الحرف :

Incubus

Ishtar

Ismashi

I Chin

Ikimizi

Illuminati

Ibis

Iblees

Icarus

على كل حال ، معظم هذه الكائنات من قائمة (الفرد ـ الإنسان) إياها .. لكن ضع ألف علامة استفهام تحت Incubus .. الجاثوم ..

هل هو المقصود هنا ؟

أم هل هو إبليس ؟ لا أعتقد أن (إيكاروس) مسخ حتى لو وجدته أساسًا الآن ..

الـ Illuminati لفظة تتعلق بمنظمة ماسونية غامضة في باڤاريا ، كانت تضم من يفوق ذكاؤهم ذكاء البشر العاديين .. ربما كان هذا هو المقصود ..

لقد مرت الساعة تقريبًا ولم يحدث شيء ..

أعتقد أن الأخ (لوكيريو) لم يحسب أيًا من هذه الكوابيس .. يبدو أنه غير رائق المزاج أو يتناول إفطاره الآن ..

ربما كان علي أن أنتظر حتى العاشرة صباحًا لأعرف كنه الكابوس الجديد

* * *

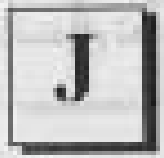

ولكن ما هو الخطر الذى يمكن أن يهاجمك فى العاشرة صباحًا ؟

لا شىء فى الواقع ..

أنت فى (إيست إند) فى لندن .. جئت تبحث عن عنوان ما فلم تجده .. لا أحد يوجد فى عنوانه هذه الأيام ..

أنت منهك .. لم تتناول الإفطار بعد ولكنك تجد تلك الكافتريا الصغيرة فتدخل ..

تأتى السافية الحسناء ذات الجمال البريطانى الذى يفتنك .. أنت المجنون الوحيد فى العالم الذى يؤمن بأن البريطانيات جميلات ، وأن الأمريكيات قبيحات كمحال مسلوخة ..

تطلب منها طبقًا من البيض وقهوة .. وتجلس فى ضوء الشمس المتسرّب من الواجهة الزجاجية تطالع الجريدة ..

يصل الإفطار الشهى ومعه الخبز المقدد ، وتبدأ عصارتك المعدية عملية الهضم فعلاً قبل أن يصلها شىء من الطعام ..

هنا يدخل ذلك العملاق الكافتيريا .. ينظر حوله ثم يتجه للمنضدة المجاورة لك .. إنه أشقر يبدو أجنبيًا .. معه حقيبة كبيرة والمعطف على ساعده ..

يصيح مناديا السافية :

ـ « ياجلوستا !!.. ياجلوستا ! »

تلتفت له فى عدم فهم فأقول لها :

ـ « يقول (من فضلك) .. واضح أنه روسى .. »

تدنو منه لكنه يملك من الإنجليزية ما يسمح له بشرح ما يريد .. كأن الكلمة الإنجليزية الوحيدة التى استعصت عليه هى لفظة (من فضلك) ..

تغيب الفتاة ثم تعود له بطبق مليء باللحم .. وخبز وبيض .. هذا وحش مسعور إذن .. وشهيته لا تقل عن حجمه ..

يأكل طعامه بشهية طيبة ، بينما أضيع الخبز فى رأسى .. أشعر بأننى من الأسرة المالكة عندما أنظر لهذا الرجل ..

ينتهى من طعامه فينهض ويتجه إلى مائدتى وحقيبته فى يده ..

لا .. لا تجلس .. لا أريد بشرًا من حولى !

لكنه يجلس بالفعل معلنًا عن انعدام لياقة لا يوصف ..

يقول لى بأسوأ إنجليزية سمعتها فى حياتى :

ـ « (ميشيل أوستروج) .. سوفييتى .. أنا طبيب .. »

ثم أقدم له نفسى على سبيل الاحتجاج .. هل سيطلب منى دفع الحساب أم ماذا ؟

لكنه لم يفعل .. فقط أخرج منديلاً عملاقاً وراح يجفف عرقه ، ثم قال لى :

ـ « أنا متجه إلى مطار (هيثرو) .. لقد حان وقت العودة إلى الوطن .. »

ثم أضاف وقد لاحظ أنى غير مهتم :

ـ « الحقيقة إن المرء يشعر بالرضا عندما ينجز ما هو مطلوب منه .. إنه ذلك النداء الذى تشعر بأنه آت من جدودك .. تشعر بأنهم لن يستريحوا ما لم تقم بالمهمة .. هل جربت هذا الشعور من قبل ؟ »

قلت فى برود :

ـ « لا .. »

ـ « لو جربت لذة الإنجاز لشعرت بخليط من المشاعر الموجبة .. هل تؤمن بتناسخ الأرواح ؟ »

قلت فى برود من جديد :

ـ « لا .. »

ـ « كيف لا يؤمن بها إنسان عاقل ؟ »

قلت وأنا أطلب قهوتى :

ـ « أنا مسلم .. كلا الإسلام والمسيحية لا يقبلان فكرة أن نفس الروح تستخدم عدة مرات .. هذه الفكرة تتناقض مع مسلمات كثيرة .. »

قال لى فى توتر :

ـ « ولماذا إذن أدرك يقيناً أننى كنت هنا منذ زمن سحيق وأننى فعلت الشىء ذاته بالضبط .. من أين تأتى هذه الرؤى ؟ »

ـ « العلم الحديث لا يتكلم عن تناسخ الأرواح لكنه يقبل فكرة الوجدان الجمعى .. يقبل فكرة الـ déjà vu .. يقبل الهندسة والهستيريا .. »

هز رأسه فى حيرة .. ثم قال :

ـ « ما زلت أشعر أننى قابلت (كوزميتسكى) و(دروبيت) .. ما زلت أرى كل شىء .. هذا غريب فعلاً .. »

ـ « سوف تنقلب على هذا .. »

مد يده ورشف آخر ما تبقى فى قدح القهوة الخاص به ونهض محيياً ..

جاءت السافية بعد خمس دقائق فأشرق وجهها الجميل بالفهم وقالت :

ـ « مجرد مجنون آخر ؟ »

ـ « نعم .. »

قالت بتلك الكبرياء البريطانية المزعجة :

ـ « هؤلاء الأجانب مجانين دوماً .. آسفة إن آذيتك بهذه الكلمات لكنها الحقيقة .. أنت الاستثناء الذى يؤكد القاعدة .. »

اصطدمت قدمها بشىء فانحنت تعيده جانبا وقالت :

ـ « لا تنس حقيبتك .. »

حقيبتى ؟! أنا لا أحمل حقيبة .. هى حقيبة تلك المجنون .. وهو الآن فى طريقه لمطار (هيثرو) ظن ألحق به.. لكن يمكننى أن أسلمها للشرطة على كل حال ..

(أوستروج) .. هذا الاسم يبدو مألوفاً ..

لو أضفنا له اسم (كوزمينسكى) لاقتربنا جداً ..

وهنا ارتجفت .. مدت يدى إلى الحقيبة وفتحتها فى حذر .. وهنا شعرت بأن كل ما أكلته فى الإفطار يحتشد فى فمى .. لم يكن ما تحويه الحقيبة أوراقاً .. لم تكن تحوى مخدرات .. ليتها كانت كذلك !

* * *

فى تلك الأشهر من أغسطس حتى نوفمبر عام 1888 شهدت هذه المنطقة بالذات ـ (إيست إند) ـ سلسلة جرائم قتل شنيعة للفتيات .. وهذه الجرائم أطلعت برءوس كثيرة من شرطة لندن بتهمة الفشل ..

لغز من أشهر ألغاز علم الجريمة .. اللغز الذى اشتهر باسم (جاك السفاح) ..

الساعة الآن العاشرة صباحاً .. موعدى مع جرفيل .. وهذا يعنى أن نظريتى صحيحة ..

لقد كان هذا السفاح يذبح ضحاياه ثم يقوم بتشريحهن بطريقة تدل على شخص ذى علم واضح بالتشريح .. لهذا فكر الجميع فى طبيب يفعل ذلك ..

اتهموا روسيا يدعى (ميشيل أوستروج) وبولنديا يدعى (كوزمينسكى) ومن يدعى (درويت) .. ثم ظهرت نظرية تتهم الجراح الملكى سير (وليام جال) ذاته بهذه الجريمة .. والسبب نوع من الطقوس الماسونية ..

حتى اليوم يبقى اللغز لغزًا ..

لكن هذا الأخ جاء وقال كلامًا كثيرًا عن التناسخ والحاجة إلى أن يصير مثل أجداده .. وما الذى امتلأت به حقيبته ؟ هل قتلت ليلته يمارس ذات النشاط الذى كان جده يمارسه ..

هل يعنى هذا أننى تناولت إفطارى مع (جاك السفاح) ؟

كنت أفكر فى هذا كله عندما سمعت صرخة ..

رفعت رأسى لأجد الساقية الحسناء تعوى وهى تنظر إلى الحقيبة الموضوعة على الأرض جوارى ..

لقد بدأت بقعة كبيرة تتكون على الأرض .. بقعة دم تكبر وتكبر ..

رفعت رأسى لأتكلم ..

لكنى وجدت الناس تزاحموا خارج الباب ..

ورأيت عند المدخل رجل شرطة بريطانيًا يدوح بهراوته ، ويصيح فى حزم ممزوج بالرعب :

ـ « لا تتحرك ! »

طبعًا لن أتحرك ..

من قال إننى قادر على ذلك ؟

* * *

www.liilas.com MHAHGO

K

الحادية عشرة صباحاً ..

هناك أكثر من طريقة لكتابة كلمة (قبالة) .. ربما تكتبها هكذا Kabbalah أو هكذا Qabbalah .. أو تبدأ بحرف C .. لكننا نتكلم عن الشيء ذاته ..

معنى الكلمة هو (من الفم إلى الأذن) واللفظة تحمل معنى (الاستقبال) عامة .. إنها تلك الطقوس السحرية ذات الطابع اليهودى . قيل عند اليهود إن الله همس بها لموسى عليه السلام فضمها لهارون أخيه. يعتقد اليهود أن القبالة تحوى سر الحياة ذاتها . في أسطورة أخرى قيل إن القبالة علم نقله هاروت وماروت لأهل بابل. محظور على أى يهودى أن يدرس القبالة قبل بلوغ الثلاثين وهى أساس التصوف الديني عند اليهود .

تقوم هذه الفلسفة على أن الله أرسل في الفراغ نفحة من نفحاته النورانية ، بلغت 10 نفحات ، وسميت هذه النفحات بالسفيروت Sephirot. هناك عدة كتب للقبالة منها (سفر يتزيراه) أو (كتاب الخلق) الذى كتب أثناء الشتات البابلي . والثانى يدعى (زوهار)

ـ كتاب التوراتية ـ وكتب في أسبانيا بوساطة الفيلسوف موسى بن ليون عام 1219 ، وقد انتشر هذا الكتاب في أوروبا. إنه كتاب رياضي تماماً مليء بالأرقام ، وعامة نجد أن القبالة تتعامل مع ثلاثة نظم من الأرقام تدعى (جيماتريا) و(نوتساريكون) و(تيموراه) ..

تقوم فلسفة القبالة على شجرة أصلها في السماء وفروعها في الأرض (أى أنها مقلوبة) وتتكون من عشر طبقات يتاح السفر بينها للروح بعد الموت.

إن القبالة لم تكن قط كتاباً للسحر ، إلا أن السحر تسلل إليها ، واعتقد هؤلاء السحرة أن السفر عبر طبقات القبالة يمكن أن يتم وأنت حي ، بهذا يمكن للمرء التنقل بين الطبقات واكتساب خواصها والتصرف بها كما يشاء. هكذا صارت القبالة هي العمود الفقري لأية ممارسات سحرية ، وصارت للساحر ثياب خاصة وممارسات خاصة تتناسب مع الطبقة التي يريد المرور بها.

* * *

تراهم في (نيويورك) بثيابهم السود الغريبة وقبعاتهم وزنار الشعر المضفر على الكتفين .. إنهم يهود (الحسيديم) الذين يقيمون في حي مخصص لهم هناك .. حياتهم مغلقة وعاداتهم سيهمة لا تعرف عنهم الكثير ، لكنهم أشد اليهود تعصباً ..

من الغريب أن هؤلاء بشدات لا يقبلون فكرة إسرائيل .. ويعتبرونها مخالفة صريحة للديانة اليهودية ، لأنها تقضى على فكرة الشتات .. يمكنك أن تعرف المزيد عن هذا من كتابات د. (عبد الوهاب المسيرى) خبير اليهودية الأول فى العالم العربى ، وهو تخصص مثير للإعجاب لأن السبيل لسحق عدوك يبدأ من معرفته بدقة ..

لكن هذا ليس موضوعنا بالطبع ..

كنت بطبعى أتحاشى التعامل مع هؤلاء .. وهى مهمة سهلة لأنهم مجتمع منغلق بالمعنى الحرفى للكلمة ..

على أننى كنت بالطبع أتعامل مع النصاب اليهودى مريض البروستاتا (سام كوتبى) ، وهو لا ينتمى لليهودية إلا بالاسم ..

أذكر ذلك اليوم الذى جاءنى فيه (كوتبى) ملهوفا فى الفندق الذى أقيم فيه ..

ناولنى مجموعة من الأوراق فى كيس بلاستيكى وطلب منى أن أحتفظ بها ..

كنت قد سلمت تلك الكتب السرية التى يتعامل معها ، لذا قلت له إننى غير راغب فى ذلك .. لكنه قال إن حياته تعتمد على احتفاظى بها ..

ـ « رفعت .. أنا فى مأزق .. أرجوك .. للمرة الأخيرة أريد منك شيء لا يبقى الاقتراب منه .. »

ثم همس وهو يضع الكيس تحت مقعدى فراشى :

ـ « لا تحاول قراءة المكتوب .. أرجوك .. »

ثم انصرف ..

طبعا كانت هذه دعوة واضحة لقراءة الموجود فى الأوراق ..

هكذا انتظرت حتى توارى ، وأغلقت الغرفة بإحكام ثم مددت يدى أعبث فى أوراق الكيس ..

وجدت على الغلاف عبارة بالعبرية .. تكرتنى بجو (تيكرونوميكون) و(إيتوخ) الكابوسى .. لابد أن (لفافات غزة) له دور فى الموضوع ..

تحت العبارة كتبت كلمة (تتراجراماتون) .. Tetragrammaton ما معناها ؟ شيء رياضى طبعا لكن ما هو ؟

الفضول يخنقنى لمعرفة معنى هذا الشيء ..

هكذا أغلقت غرفتى بعناية وغادرت الفندق ..

إن المكتبة العامة تقع على بعد مائتى متر من الفندق ..

أمينة المكتبة تدعى (سارة) وهى فتاة رقيقة جميلة ومتعاونة بشدة .. لقد كنت هناك عدة مرات من قبل .. لو طلبت منها كتاب (يلسكفضعى) لوجدته لك أو أخبرتك بطريقة الحصول عليه ..

حييتها فقالت لى إن اليوم جميل ..

ـ « ليس أجمل من ضحكتك يا (سارة) الحسناء .. هناك سؤال أرجو لو ساعدتني في حله .. »

ثم أخرجت من جيبي وريقة وتلوت ما فيها بصوت عال :

ـ « تتراجراماتون .. هل تعرفين معناها ؟ »

ـ « ما هي المناسبة ؟ »

قلت في حذر :

ـ « نتقل إن لدى كتابًا يحمل هذا العنوان .. »

فكرت قليلاً ثم قالت :

ـ « يجب أن تبحث في كتب القبالة .. لو عدت بعد الظهر لوجدت عندي بعض الكتب التي تناسبك .. هناك كتاب (حديقة الرمان) لـ (موسى كوردوفيرو) .. »

ـ « هذا اسم ذو رنين أسباني واضح .. »

ـ « كل ما نعرف عن القبالة جاء من أسبانيا .. لقد تشكل هذا العلم في أسبانيا عندما بدأ رجال محاكم التفتيش يضطهدون اليهود .. »

هذه نقطة يجب أن يتذكرها اليهود .. كانوا من السادة عندما حكم المسلمون أسبانيا .. ثم رحل المسلمون فعانوا أشنع أنواع

الاضطهاد على أيدي محاكم التفتيش .. هذه حقيقة تاريخية وليست مجرد حماس قبلي ..

هكذا تركت (سارة) شاكرًا لها لطفها ومعرفتها الموسوعية ..

اتجهت إلى سوبر ماركت قابتعت بعض ما أحتاج إليه .. مشيت في السوق بعض الوقت ، ثم عدت إلى الفندق .. دخلت غرفتي وبدأت في نزع ثيابي ..

لا أعرف كيف ولا متى تلقيت تلك الضربة على مؤخرة رأسي ..

فهأة ساد الظلام العالم ..

* * *

كنت هناك على الأرض الممتلة في قبو ما ..

مشاعل وشموع ..

حولي يقف مجموعة من هؤلاء (الحسيديم) بسحناتهم الكريهة الكئيبة وثيابهم السود ..

قال أحدهم :

ـ « لقد أفاق الجنتيل ! »

الجنتيل هو كل من يمت لشعوب الأرض غير اليهودية .. ورأيت أحد هؤلاء ينحنى على ركبتيه ليصير فى مستوى رأسى .. ثم وضع يده تحت ذقنى وهمس :

ـ « أنت ارتكبت الكفر الأعظم ! »

ـ « أى كفر ؟ »

ـ « نطقت الاسم السرى .. الـ (تتراجراماتون) .. »

ـ « عم تتكلم بالضبط ؟ »

ـ « إن ذكر اسم الرب السرى يقع تحت طائلة الموت ، ونحن نؤمن أن من يعرف هذا الاسم يستطيع السيطرة على شياطين الكون وعلى العالم السفلى .. لهذا نستعمل أسماء (إلوهيم) و(جيهوفاه) كى لا ننطق الاسم الأصلى .. أنت تملك هذه الأوراق وقد حصلت عليها من كافر ما .. كافر له علاقة بأسرار القبالة .. »

ماذا يدور هنا ؟

هنا رفعت رأسى فرأيت ساقى (سارة) .. أمينة المكتبة .. صديقتى ..

قالت وهى تبتسم فى وحشية :

ـ « تنسى أن اسمى (سارة مازورسكى) .. لو لم يكن هذا الاسم يهوديًا فماذا عساه أن يكون ؟ »

قال الرجل الذى يركع جوارى :

ـ « سارة أخت مخلصة . صحيح أنها ليست من (الحسيديم) لكنها يهودية .. وبالتأكيد لن تترك كلبًا مثلك يلهو بالاسم المقدس .. »

ومد يده يخرج شيئًا ما ..

ـ « لقد حكم عليك بالموت .. »

كان هذا الشىء سكينًا ضخمًا يلمع فى ضوء الشموع ..

أنا سأموت لأنهم يعتقدون أننى أعرف الـ (تتراجراماتون) ..

هل تعرف ما هو من فضلك ؟

* * *

L

جارتى (ليلى) وزوجها (عبد العظيم) يسكنان فى الشقة التى تعلو شقتى .. لقد جاءا منذ وقت قريب إلى البناية .. وبما أننى لست البشر كما تعرفون عنى فإننى لم أهتم بمعرفة أى شىء عنهما ..

فقط هى بارعة الحسن .. تلك الطراز من الجمال الذى يزهق أنفاسك .. ومع الجمال تجد سمحة لا شك فيها من القسوة والصلابة .. إنها نمط الفاتنة (ليلى فوزى) عندما كانت تلعب أدوار الشر فى الأفلام المصرية القديمة .. فاتنة .. قاسية .. باردة .. ساحرة ..

زوجها كان رجلاً مسالمًا وإن كان مكتنز العضلات .. ويبدو أنهما لم ينجبا قط ..

كنت أقابلهما على الدرج أو فى مدخل البناية فأهز رأسى مستخدمًا بما يعرفه الغربيون بـ (معرفة هز الرأس) .. لا علاقة بعدها .. كل شىء ينتهى بهزة الرأس هذه ..

فى عدة مرات جاءنى الزوج يبغى تعرفى أكثر ، فكنت أقدمه ببرود ومسحة غباء .. بعدها كنت لا أفتح الباب إذا دقه لأننى أراه فى العين السحرية ..

مرت عدة أشهر ثم حدث موقف غريب ..

لقد جاءت قوات أمن وضابط شاب وسيم ، وقاموا بالتفتيش فى شقة هذين ثم اصطحبوهما إلى المخفر مع مجموعة كبيرة من الكتب والأوراق ..

سألت الأستاذ (زكريا) جارى فى الشقة السفلى ، وكنت أعرف أنه فضولى جداً لا يفوت أية تفاصيل .. بالتأكيد عرف كل شىء عن قصة التفتيش هذه ..

•

قال لى :

ـ « يقولون إنهما جاسوسان إسرائيليان ! »

ـ « يا سلام ! .. بهذه البساطة ؟ »

نظر حوله كى يتأكد من أن أحدًا لا يسمعه وهمس :

ـ « بس س ! أنا مش أبلغ الشرطة بهذا ! السبب هو أننى فحصت صندوق القمامة الخاص بهما .. وجدت أوراقًا كثيرة ممزقة عليها كتابة عبرية .. »

سمعت هذا الغباء .. هل كل من يتعامل مع اللغة العبرية جاسوس ؟ فى إسرائيل خبراء فى اللغة العربية والفقه الإسلامى والشعر الجاهلى ، ولهذا سحقونا فى حرب 1967 لأنهم عرفوا عدوهم جيدًا ..

قلت للرجل :

- « هناك من يدرسون اللغة العربية .. فهل هم جميعاً جواسيس ؟ »

- « الرجل لا يدرس أية لغة .. إنه رجل أعمال .. »

على كل حال حدث ما توقعته .. عاد الزوجان بعد ما تبين رجال الشرطة أنه لا غبار عليهما .. عدا تكلفهما فقدا أية شهية لتكوين صداقات مع سكان هذه البناية .. لا لومهما طبعاً ..

* * *

بدأ مسلسل موت أطفال البناية بعد هذا بأسبوع ..

كانت الحالة الأولى لطفل جميل في الخامسة من عمره وجدوه ميتاً في فراشه ، ولم يعرف الطبيب الشرعي سبباً لذلك .. لماذا مات وهو يضحك ؟ الحق أن موته أحدث حالة من الشؤم والحزن عمت البناية كلها ..

الحالة الثانية وقعت بعد أسبوع لطفلة في الثانية من عمرها .. تركتها أمها في غرفتها نائمة ، وخرجت لبعض شأنها ثم عادت لتجدها ميتة .. وعلى شفتيها ابتسامة ..

يعرف الأطباء في العالم الغربي ما يدعى بمتلازمة (موت الأطفال المفاجئ) أو SID وهو لغز طبي غير مفهوم ، يقال أحياناً أن سببه فيروس تنفسي أو إنهيك حراري ، أو وضع الطفل على بطنه وتركه حيث تكون عضلات تنفسه في أسوأ وضع ممكن .. لكنه مرض سائد في الغرب وغير معروف في مصر على قدر علمي ..

لهذا تشاءم الجميع من هذه البناية .. شعر الجميع بالشؤم يخيم عليها ..

على أن شكوكي بدأت في ذلك اليوم الذي كنت أصعد فيه الدرج ورفعت رأسي لأجد أن المرأة في طابق يعلوني .. أغمضت ببصري حياء لكن عيني رأت لمحة سريعة من ساقيها هي التي كانت تلبس ثيابًا طويلة طيلة الوقت .. هذه اللمحة جعلتني أرتجف ..

إنها امرأة رقيقة بارعة الحسن ، فهل لديك سبب واضح يجعل ساقيها مكسوتين بالشعر كأنهما ساقا غوريلا ؟

هنا فقط بدأت أقلق ..

طلبت من الأستاذ زكريا أن يجد لي بعض الأوراق العبرية التي وجدها في قمامة هذين .. فتش طويلاً حتى وجد ورقتين في أعلى حالة ممكنة .. عندما تخرج الورقة من القمامة لا تتوقع أن تكون في حالة أفضل ..

حملت الورقة إلى الأتلس كي أجد من يترجمها لي في قسم الدراسات العبرية ..

هناك عرفت أنها صلوات موجهة إلى (لوليث) كي تخلي العالم شرورها !

* * *

لاميا .. لاماستو .. ليليث .. الأخوات إمبوسي .. كلهن لشيء ذاته . في كل الثقافات السامية سوف تجد ذلك النموذج .. إنها موجودة في الأساطير البابلية .. الأشورية .. العربية .. العبرية .. الأنثى مصاصة الدماء التي حرمت الأطفال فقررت أن تنتقم من أطفال الآخريات .. في اليونانية تجد كلامًا عن (لاميا) الرهيبة التي كانت ملكة ليبيا .. عند الأشوريين كانت هناك الشيطانة (لاماستو) التي تقتل الأطفال الصغار ربما وهم في أرحام أمهاتهم .. فيما مضى كانوا يفسرون أكثر حالات موت الأطفال والإجهاض بأن (لاماستو) تتسلل لتفتك بالطفل ..

لهذا كانوا يرسمون في غرفة نوم الطفل دائرة بداخلها آدم وحواء .. وكانوا يكتبون على الجدران : اخرجي يا ليليث .. مع كلمات تبعدها عن الطفل مثل (سينوى) و(سانسينوى) . قيل إن الطفل لو ضحك في نومه فالسبب هو أن (ليليث) في الغرفة .. وكان عليك أن تضرب شفتيه بإصبعك لتطردها .

يقال أحيانًا إن اسم (ليليث) مستوحى من اسم (ليلوتو) - روح الريح - أو ليلاك التي تعني (الليل) في المخطوطات السومرية في (أور) .. وكانت هناك مواجهة مهمة بينها وبين (جلجامش) عندما كانت تختبئ في شجرة الصفصاف على ضفة نهر الفرات .. وقيل إنها تعيش في الخرائب وسط بنات آوى والبوم والثعابين .. يعتقد اليهود أن (ليليث) هي الأنثى الأولى - قبل حواء - التي رفضت أن تخضع لسلطة آدم .. قررت أن تتمرد عليه من ثم عوقبت

بأن صارت هذا المسخ . وهناك اليوم جمعيات نسائية عديدة في إسرائيل ترفض سلطة الرجل وتعتقد أن الوقت قد حان للتخلص منه . وشعار هذه الجمعيات هو (ليليث) نفسها !

كذلك يعتقد اليهود أن سيدنا (سليمان) عليه السلام شك في (بنقيس) ملكة سبأ عندما رأى أن ساقيها مشعرتان أكثر من اللازم وحسبها (ليليث) .. كان هذا حين كشفت عن ساقيها عندما خشيت أن تبتل بالماء وهي تدخل قصر البلور الذي بناه .

هناك أساطير تتحدث عن كون (ليليث) عقيمة لا تنجب ، وأساطير تتحدث عن أبنائها الأشرار مثلها الذين يطلق عليهم (ليليم) .

نسيت أن أقول إن زوجها يدعى أزيموديوس...

(ليلى) و(عبد العظيم) .. كلمات عربية .. صلوات .. امرأة ذات ساقين مشعرتين .. أطفال البناية يموتون وهم يضحكون .. هل يمكن تصور أن هذه الشيطانة العربية اتخذت مسكنها في هذه البناية بالذات ، وأنها قررت الانتقام من هؤلاء الذين أبلغوا عنها الشرطة ؟

لهذا - لا تلمني - قمت بجولة على كل شقق البناية .. لا أعرف كيف صدقت هذا كله ، ولا كيف أقنعت الجيران به .. لكني في كل غرفة أطفال في كل شقة بالبناية كتبت على الجدار بخط واضح (سانسينوى) ..

حاولت أن أبقى الأمر سرًا .. لكن الجيران الذين اعتبروني جننت تمامًا مؤخرًا تهامسوا بالأمر ..

لهذا كنت أصعد فى الدرج حينما نظرت إلى أعلى فرأيت تلك المرأة تطل علىّ من فوق .. لو أن النظرات تقتل لقتلتنى تلك النظرة .. سرعان ما تواريت فى شقتى وأنا أرتجف ..

* * *

الثانية عشرة ظهرًا ..

تلك نائم فى فراشى ..

أنا من الذين ينامون متأخرًا جدًا .. فى الحقيقة مبكرًا جدًا ..

سوف أستيقظ فى الثانية بعد الظهر .. هذا يجعلنى أظفر بثمان ساعات ..

لكنى أشعر بشخص ما معى فى الحجرة خافتة الإضاءة ..

أرفع عينى لأجد مدام (ليلى) تلف جوار زوجها وهما ينظران لى فى ثبات ..

متى دخلا وكيف ؟

أهب منتفضًا لأجدها تقول فى ابتسامة وحشية وهى تتقدم نحوى :

ـ « أنت متعتنا من الاعتداء على أى طفل فى البناية .. تلطلطة (سانسينوى) على الجدران حيلة بارعة .. لكنك نسيت أن تكتبها على جدارك ! »

قال زوجها (عبد العظيم) الذى هو فى الحقيقة (أزموديوس) :

ـ « نسى أنهم قالوا يتصيدون الرجال بألا يناموا وحدهم فى الدار أبدًا لأن (ليليث) لم تكن تكتفى بممارسة نشاطها مع الأطفال ، بل كانت تختار أحيانًا الرجال النائمين على ظهورهم لتمتص دمهم .. »

يبدو أننا فى عالم مليء بالشياطين التى تقتل الرجال النائمين على ظهورهم ..

كدت أقول هذا لولا أن مدام (ليلى) وثبت فوقى .. وثبة حيوانية جدًا رشيقة جدًا كأنها ذئب لا أنثى ..

فى هذه المرة يبدو أنها ستجرب مص الدماء ولن تكتفى بخنقى ..

لامبا .. لامباستو .. ليليث .. الأخوات إمبوسى ..

لا يهم ..

فقط أعرف أن هذا الشيء قوى جدًا وأنه يسحقنى ...

* * *

www.liilas.com

M

لم يلتقط له أحد صورة ..

وبرغم هذا يؤمن الكل هناك بوجوده ..

أنظر لساعتي فأجد أنها الواحدة ظهرًا .. من ثم أعرف أنني ولابد ملاقيه ..

هأنذا مع صديقي الأمريكي المتحمس دومًا الغاضب دومًا (هاري شيلدون) .. نحن في (وست فرجينيا) ..

مدينة (بوينت بليزنت) مدينة صغيرة ، من الطراز الذي وصفه (مارك توين) قائلاً :

ـ « كل واحد وكلبه يعرف كل واحد وكلبه .. »

هدوء عام .. شوارع خالية .. بضعة أطفال يلعبون جوار البيوت في الحدائق .. لقد سرق الأمريكان مساحات أرض شاسعة من الهنود ، أكثر مما يحتاجون له لو أردت رأيي .. لهذا هناك كلمة واحدة تصف الحياة في هذه الولايات : الاتساع ..

نحن في الحديقة الخلفية لدار (تويل بارتريدج) .. مزارع من البدة أشيب الشعر لم يعد يفعل أي شيء سوى الجلوس في الحديقة ومراقبة الطريق المقفر ..

يقول لنا بينما جهاز التسجيل يدور :

ـ « كنت قد سهرت مع (كلارا) في تلك الليلة ، وفرغ ما لدي من شراب .. نهضت إلى المخزن في الظلام لأحضر زجاجة أخرى .. هناك شعرت بوجود شيء ما .. رفعت عيني ببطء فرأيته .. »

قلت له :

ـ « هل هو كما وصفته الصحافة أم أنهم يبالغون ؟ »

ـ « بالضبط كما وصفوه .. في البدء حسبته متسكعًا .. ثم أصابني الرعب لأنه فارع الطول حقًا .. أعتقد أن طوله يقترب من عشرة أقدام (ثلاثة أمتار) .. عندما نوت أكثر اقتنعت أنه بلا رأس ..!.. وفجأة حرك جناحين عملاقين ووجدته يرتفع أمام عيني كأنه وطواط أدمي هائل الحجم !!! رحت أصرخ كالمجنون بينما هو يرتفع ويرتفع .. وسرعان ما رأيت ظله على خلفية من قرص القمر كتلك الصورة الشهيرة للرجل الوطواط .. »

ـ « هل يبدو كبشري ؟ »

ـ « كان الظلام شديداً .. لكني قدرت أنه مكسو بفراء أبيض وأن له عينين حمراوين .. عينان على جانبي صدره لأنه بلا رأس .. فيما عدا ذلك هو يمشي على قدمين .. يمكنك أن تتصور بسهولة أنه رجل .. »

ابتسمت في سري .. لم يقع في الشرك .. كنت أتوقع أن أسأله عن كيفية وجود عينين في مخلوق بلا رأس ..

أردف الرجل :

ـ « بعد هذا تكرر ظهوره .. كان هذا هو العام 1966.. عشرون رآه خارج ديارهم ليلاً وفي كل مرة كان يحلق مبتعداً .. معظم من رآه أصيبوا برعب دام معهم ، وصار من الصعب أن ترغمهم على المشي ليلاً في طريق مقفر .. لو أردت الدقة ، هناك أكثر من مائة مشاهدة له في تلك الفترة .. »

ثم جرع جرعة من الشراب وأشعل سيجاراً وقال :

ـ « الصحافة اهتمت بالموضوع .. ذكرهم منظره بشخصية هذا الشبح الوطواطي في القصص المصورة ، من ثم اشتهر بهذا الاسم .. الرجل العث .. Mothman .. فيما بعد زار البلدة صحفي يدعى (جاك كلل) ودرس الظاهرة وقابل الشهود .. لقد لاحظ أن التيار الكهربي ينقطع في البلدة عندما يظهر هذا الرجل العث .. لاحظ أن أصواتاً غريبة تسمع في الجوار .. لاحظ أن كوارث معينة تحدث بعد ظهوره ، لذا أصدر كتاباً اسمه .. اسمه .. »

وتقلص وجهه العجوز محاولاً التذكر فقالت :

ـ « نيوهات الرجل العث . هذا هو اسم الكتاب .. »

قال مؤيداً :

ـ « نعم . نعم .. لكن الرجل العث اختفى تماماً منذ عام 1967 .. ثم نسمع عنه أي شيء .. قال العلماء إنها هلوسة جماعية .. ربما .. عندما أعيد التمعن في الفترة أن وطواطاً يمشي على قدمين ارتفاعه عشرة أقدام موجود في الجوار ، أعرف أنني أهذي .. »

سأله (هاري) وهو يضع ساقاً على ساق :

ـ « لكن البلاغات عادت منذ أيام .. »

هز العجوز رأسه وقال :

ـ « نعم .. نعم .. جاءت بلاغات كثيرة من أطفال . من نساء .. وفي كل مرة يتكرر الوصف .. أعتقد أن ذلك الفيلم التلفزيوني هو السبب(*) إن الناس يفكرون بالضبط كما تعلمهم السينما وليس العكس .. »

(*) لا يتكلم عن الفيلم الشهير الذي قام ببطولته (ريتشارد جير) بل عن فيلم تلفزيوني وتافه قديم .. تذكر إن هذه الأحداث تقع قبل التسعينات ..

رأى لا بأس به من فلاح بسيط .. فديما قال (أوسكار وايلد) إن الطبيعة تقلد الفن ، وقال (أندريه موروا) إن الناس يحبون بالطريقة التى تمليها عليهم قصص الحب الرائجة فى عصرهم ! هذا ينطبق على الرعب . السينما تعلمنا كيف نخاف وما الذى ينبغى أن نخاف منه!

أغلق (هارى) جهاز التسجيل وشكر الرجل ..

خرجنا إلى الشمس الساطعة فى الخارج .. هذه القصص قد تثير الرعب إذا سمعتها ليلاً فى غرفة مظلمة باردة أو فى حقل لا ضوء فيه .. بالتأكيد سوف تتلفت حولك لدى سماع أى صوت .. أما هنا مع كل هذه الشمس والدفء فالأمر يبدو مضحكًا ..

كنت أنا و(هارى) هنا لأن صحيفة أمريكية صغيرة تهتم بالظواهر الفورتية Fortean طلبت من (هارى) أن يكتب لها دراسة عن ظاهرة رجل الثلج التى عادت .. طبعًا سمعة (هارى) تنامت فى هذا الصدد بعد مغامرتنا مع الزومبى وبعد عدة قصص مماثلة ..

إنه خبير كمبيوتر ولا علاقة له بهذه الأمور ، لكن ما علاقتى أنا كأستاذ أمراض دم بها ؟ لقد طلب منى أن أرافقه بما أننى فى الولايات ، وقد وافقت على الفور .. (هارى) يفضل أن يصحبنى فى أى مكان أطلبه .. على أن أرد له هذا الجميل ..

قلت له :

ـ « لا جديد .. ما لم تلتقط فيلمًا شاملاً لرجل الثلج هذا لن يصدقك أحد . وسوف يظهر خبير من شركة (سوني) يفحص شريط الفيديو ويؤكد أنه مزيف .. »

قال ضاحكًا :

ـ « الشيك الذى سألته من المجلة .. هذا هو ما يهمنى حاليًا .. يجب أن أنفق لأعيش كما تعلم .. »

هكذا مشينا فى البلدة الهادئة .. هناك شاهدان لقابلهما وتنتهى قصتنا هنا ..

كانت محطة الوقود هى المكان الذى حددنا أقدامنا له .. هناك شاحنة عملاقة يبدو أنها تفرغ حمولتها من وقود الآن.. سيارتنا تقف فى ساحة انتظار على بعد خطوات .

قلت لـ (هارى) وأنا أتأهب :

ـ « اسمع .. يمكنك إنهاء اللقاءين الأخيرين من غيرى فقد سئمت هذه القصص .. سوف أجلس فى الكافتيريا الملحقة بهذه المحطة لأشرب قدحًا من القهوة .. سوف أنتظرك هنا .. »

قال لى باسمًا :

ـ « نفس الملل القديم .. أنت لن تتغير أبدًا .. »

- « يمكنني أن أملأ لك كتابًا كاملاً بحوادث رؤية رجل الجليد الغامض ورجل العث .. شاهدناه في الساعة التاسعة مساء .. حاولت التقاط صورة له لكنه توارى .. إلخ .. دعني في هذا المقهى وسوف أملأ لك عدة مقالات .. »

- « أحمد الله أنك لم تصر صحفيًا .. إذن لصرت صحفيًا نصابًا .. »

دخلت الكافتيريا وحدى وجلست على أحد المقاعد العالية أمام الكاونتر ..

انتظرت أن يظهر أحد .. الساقي العجوز ذو الكرش أو الساقية الملول التي تطق مربولة .. لم يظهر أحد .. هناك جرس أمامي قرعته لأنهم يفعلون ذلك في السينما .. لكنه لم يصدر صوتًا ..

لم يأت أحد بجرس أو من دون جرس ..

صحت بصوت عال :

- « هيييه ! »

لم تتهيأ لشيء غريب ..

لماذا يسود الظلام الكافتيريا بهذا الشكل ؟ صحيح أننا في الظهيرة ولكن الكافتيريا في الظل ولا تتسلل الشمس لها .. معنى هذا أن التيار الكهربي مقطوع ..

هذه حادثة نادرة جدًا في أمريكا .. بينما في مصر فنحن نتوتر إذا عاد التيار الكهربي ..

نهضت قاصدًا المطبخ .. تطفل وقح لكن له ما يبرره ..

هنا أدركت معلومة جديدة تضاف للظواهر الفوريتية ..

من قال إن رجل العث مسالم ؟ هذه معلومة خاطئة .. إنه يهاجم الأحياء ويمزق أعناقهم ..

لقد وجدت جثتين .. ثلاث جثث هناك في المطبخ وكان الدم يلوث كل شيء ..

نظرت للسقف فوجدت أن زجاجه مهشم .. بصعوبة استطعت أن أرى تلك الجسم الشبيه بوطواط عملاق يتحرر من الزجاج المهشم ليحلق مبتعدًا ..

لا توجد أوهام هنا .. هذا ليس طائرًا ..

لقد كان الشهود دقيقين جدًا .. التيار الكهربي انقطع فعلاً في لحظة ظهوره ..

هرعت إلى الباب وقلبي يتواثب في صدري ..

يجب أن يعرف (هاري) هذا .. يجب أن يعرف الجميع هذا ..

لكني إذ فتحت الباب هبت لفحة من هواء ساخن في وجهي ..

تراجعت للخلف وألقيت نظرة من النافذة ..

رأيت كابوسًا حقيقيًا ..

النار تشتعل في محطة البنزين بأكملها وتحيط بالكافتيريا ..

لقد اشتعلت النار في تلك الشاحنة المحملة بالوقود ..

لا يمكن الخروج من الباب الرئيسي ..

هذا دوي انفجار مروع فسقطت على الأرض .. وتطايرت الشظايا في كل صوب .. وبدأ كل شيء في الكافتيريا يشتعل ..

لقد اشتعل خزان كبير أو انفجرت الشاحنة ..

لقد صدق هذا الجزء كذلك .. معنى ظهور رجل الماء أن هناك كارثة على الأبواب ..

حريق عارم مهيب سوف يلتهم نصف البلدة على الأقل .. سوف تكون كارثة يزورون لها وتتحدث عنها الصحف طويلاً ..

المشكلة هي هل يلتهمني أنا أيضا أم لا ؟

ما قيمة واحد مقابل كل من سيموتون في هذا الحادث ؟ سؤال وجيه .. لكن هذا الواحد هو أنا .. أنا الذي يعتقد - بكل إيمان - أن الكون ديكور وضع في خلفية حياته ..

يتوقف الأمر على وجود مخرج آخر لم تحاصره النيران ..

ادعوا الله معي أن يكون هناك مدخل آخر ..

N

في تايلاند يطلقون عليه اسم (لاي تاي) .. ويتهمون ما يدعى بـ (في أم) أو (شبح الأرملة)(*) ..

في اليابان هو (توك كوري) ..

في الفلبين يطلقون عليه (باتي بات) ..

في فيتنام اسمه (تسوب تسوانج) ..

في العالم الغربي أطلقوا عليه اسم (مرض بروجادا brugada) ..

لأنهم تذكروا فحصا مماثلة عن (الجاثوم) وفهموا لماذا يقوم الرجال في الشرق الأقصى بصرخ شظاهم بأصر الشفاء قبل النوم ..

كي يحسبهم الشيطان نساء فلا يقضي عليهم ..

* * *

أثبت الدكتور (بروجادا) في أحد مؤتمرات أمراض القلب في مصر ..

(*) المرض حقيقي وما ذكر عنه هنا دقيق تماما

هذا الطبيب الأمريكي ذو الأصل الأسباني الذي قضى حياته يدرس هذه الظاهرة ، قد وصل إلى استنتاجات مهمة ..

وقف هناك في قاعة المؤتمرات وألقى نظرة على الشريحة المعروضة ، ثم قال بصوت جهوري وبلكنة أسبانية واضحة :

ـ « يدخل الشاب تحت الأربعين فراشه وهو متمتع بكامل صحته ونياقته .. في الصباح لا ينهض من نومه .. هذا المرض منتشر في جنوب شرق آسيا .. في تايلاند يعتبر هو السبب الثاني لوفاة الشباب بعد حوادث المرور .. لوحظت أكثر الحالات في البحارة الفليبينيين ، وفي اليابان يقصد الشيوخ المعبد البوذي داعين أن يموتوا بهذه الطريقة بدلاً من عذاب الشيخوخة .. »

ثم ظهرت على الشاشة صورة شاب أسيوي ميت جداً .. وقال :

ـ « هكذا يبدون في الصباح .. في التراث الشعبي للشرق الأقصى ، يؤمنون بأن شيطانًا يتسلل ليجثم فوق صدر النائم فيخنقه وهو نائم .. هناك من يسمعون صوت لهاث واختناق في الليل .. هذا يثير الغربيين بتراثهم عن الجاثوم والنقوبة .. »

الشريحة التالية كانت تظهر قلبًا يتم تشريحه :

ـ « د. (جوازالو) من البحرية الأمريكية قام بتشريح 11 جثة .. في كل مرة يجد القلب سليمًا تمامًا .. أي أننا نتحدث عن موت فجائي في قلب سليم تشريحيًا ووظيفيًا .. »

ثم ظهرت على الشاشة شريحة تظهر تخطيط قلب ECG ..

كانت هناك موجة شريرة الشكل .. موجة لم أرها من قبل في أي مرجع طبي ..

قال د. (بروجادا) بنهجة انتصار :

ـ « عندما أجريت دراسة واسعة على الآسيويين تبينت هذه الموجة غريبة الشكل .. أطلقت عليها اسم (زعنفة سمكة القرش Shark's fin) .. لاحظت أن الرجال الذين لديهم هذا التخطيط مستعدون دومًا للإصابة باختلال ضربات في الليل .. هذا هو ما قرر العلم أن يطلق عليه (مرض بروجادا) أو (علامة بروجادا) .. إنها خاصية وراثية تنتشر لدى الشباب الآسيويين .. وبهذا يمكننا أن نضع عيوننا على من يحملون هذه الموجة ، وأن نقوم بزرع جهاز لتنظيم الضربات كي يتفادى اختلال الضربات أثناء النوم .. »

ثم حيانا بنهجة من يطالبنا بالتصفيق ..

بالفعل انتهبت الأكف ..

لقد وجه العلم للخرافة ضربة قوية أخرى .. لا توجد شياطين ولكن توجد موجة مضطربة شريرة يسهل التنبؤ بها ..

قابلته بعد المؤتمر فصافحته وعرفته بنفسي ، وقلت :

ـ « يمكن القول إنك قضيت على أسطورة الجاثوم .. والكابوس .. »

قال ضاحكاً :

ـ « بالفعل .. وإن كانت هذه الموجة غير شائعة في العالم الغربي .. نوشك أن نكون متلازمة آسيوية .. »

من الممتع أن تقابل أحد العلماء الحقيقيين الذين فقدوا بأن يطلق اسمهم على مرض .. والأهم أن هذا يتم في حياتهم ..

* * *

لقد مر عام على ذلك المؤتمر .. وأنا الآن في عيادة د. (فكري) راقد على فراش الفحص بينما تلك الأقطاب على صدري ..

من جهاز تخطيط القلب يخرج ذلك الشريط الطويل ..

يتجه د. (فكري) ليفحصه مفطناً .. أعرف أنهم يحبون هذه اللحظة عندما تتعلق أنظار المريض بوجوههم .. يطيل النظر .. لكنه ينسى أنني طبيب بالقدر الذي يدعني ..

يقول لي ضاحكاً :

ـ « في كل مرة يخرج تخطيط القلب في شكل جديد .. أتوقع أن أرى لوحة سريالية في المرة القادمة .. هذا التخطيط يصلح لتدريس كل أمراض القلب عليه .. »

ـ « وهل هذا جديد ؟ »

قال وهو يشير لموجة غريبة الشكل :

ـ « هذه الموجة المتكررة لم تكن معتادة من قبل .. »

نظرت إلى ما يعنيه فرأيت المنظر المميز لزعنفة سمكة القرش ..

قلت وأنا أدقق في الشريط :

ـ « هذه موجة (بروجادا) .. زعنفة سمكة القرش .. »

ابتسم ونظر لي وقال :

ـ « هل تعرف هذا الموضوع ؟ أنت مثقف فعلاً .. »

لكن الأمر غريب .. من المفترض أن من يحملون هذه الموجة يولدون بها .. وهم كذلك آسيويون على الأرجح .. دعك من أنني لست تحت الأربعين ..

سألته في قلق :

ـ « هل يعني هذا أنني مستعد للموت أثناء النوم ؟ »

ـ « لا .. هذا المرض نادر في مصر .. »

ثم وصف لي بعض المنهيات ونصحني بالقائمة المعتادة .. تجنب كل ما هو أسود .. الشاي الثقيل .. القهوة .. الكولا .. التبغ .. المزاج المعتل .. الأحقاد ..

قلت لنفسي إن المرض يصيب الشباب الأسوى تحت الأربعين أثناء نومهم ليلاً .. ما احتمالات أن يفتك بي أنا الذي لم أنم ليلاً منذ عقود .. أنا الذي تجاوزت الأربعين ولا أعمل إلا جينات قريتي في محافظة الشرقية ؟

بصراحة .. الاحتمال صفر ..

* * *

في تلك اليوم نمت في الثامنة صباحًا .. هذا هو الليل عندي يوم لا أكون مرتبطًا بالعمل ..

كان نومًا عميقًا مريحًا .. أعتقد أنه كان بلا أحلام ..

فقط صحوت من النوم في الثانية بعد الظهر ..

ست ساعات من النوم الهادئ .. وأمامي ساعتان أخريان ..

كنت وحدي في غرفة النوم خافتة الإضاءة لأن الستائر مسدلة .. وحدي في الشقة .. لا شيء يؤلمني سوى .. سوى ذلك الشعور الممض بأن هناك من يجثم على صدري ..

أريد بعض الهواء .. أريد ..

رفعت رأسي فوجدت ما يشبه كائنًا شيطانيًا له وجه د. (بروجادا) يجثم على صدري .. له حجم قرد صغير لكنه ثقيل جدًا .. لا أستطيع أن أزيحه ...

هذه هلوسة .. هلوسة تداخلت فيها الرؤى كما يحدث مع الكوابيس ..

لا تخف يا رفعت .. الموت بمرض بروجادا لا يحدث إلا ليلاً ..

هنا تذكرت الحقيقة المرعبة ..

إنها الثانية بعد الظهر .. الساعة 14 .. موعد مواجهتي لخطر يبدأ بحرف N ..

ربما تم التغاضي عن موضوع الليل هذا فقط من أجل القضاء علي ..

لكن لا تخف .. إن بروجادا يبدأ بحرف B .. لو هلكت الآن فلن يكون بروجادا هو السبب ..

لحظة ..

ماذا يطلقون على مرض بروجادا في المراجع الطبية ؟

يطلقون عليه اسم (متلازمة الموت بالكوابيس) Nightmare death syndrome أو NDS ..

لقد وقعت في الشرك يا صديقي .. إنه موعدك كي تلقى نهايتك على يد خطر يبدأ بحرف N .. في هذه المرة قرر مرض بروجادا أن يغير طباعه من أجلك خصيصًا ..

يا له من كرم !

كنت أفكر في هذا بينما العالم يتلاشى من حولي ، وفي مركز الرؤية تكبر بقعة من اللون الأسود ..

تكبر .. تكبر ..

تكبر .. تكبر ..

* * *

O

يقول لك د. (هانس شنايدر) وهو يتحسس إطار عويناته :

ـ « هذا هو الصندوق .. »

تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار فتجد أنها الثالثة بعد الظهر .. وقت مناسب جداً لمقابلة مسخ يبدأ اسمه بحرف O لكن ما هو ؟

يقول لك وهو يخرج عدسة يتفحص بها الصندوق :

ـ « هذا هو (صندوق الأورجون) .. أنت تعرف ما قد تجده في صندوق كهذا .. ثعبان .. عقرب .. بعض الأوراق .. ماسة الكوهينور .. هل تفتحه ؟ »

قلت له باسماً :

ـ « ذات مرة وقعت في مقلب مماثل مع صندوق (بندورا) .. كانت مجازاة للقصة وهو مقلب رتبه لي كائن شيطاني ما .. »

رفع حاجبيه ، وقال :

ـ « هه هه .. »

www.liilas.com/vb3

عرفت على الفور أنه غير راغب في سماع القصة ..

* * *

كنا في التمسا كما تعلم .. في (فيينا) ..

وكنت قد تعرفت د. (شنايدر) هذا في إحدى الجمعيات الروحية الغامضة إياها .. كان رجلاً ظريفاً واسع العلم، وليس هو التصاب الذي توحي به ظروف لقائنا .. إنه مولع بدراسة الظواهر الفورثية .. وغالبًا ما يظن أن القصة كلها نصب ..

الظواهر الفورثية Fortean هي الظواهر غير القابلة للتفسير بطريقة علمية .. الاختراق الذاتي .. دوائر المحاصيل .. الأطباق الطائرة .. إلخ .. سميت بهذا الاسم نسبة لمن يُدعى Charles Fort وهو صحفي أمريكي توفي عام 1932، بعد ما كرس حياته لموضوع واحد هو أن العلماء لا يفقهون شيئًا !

لقد لاحق الرجل الظواهر الغريبة في كل مكان بدءًا بالمتحف البريطاني حتى مرتفعات التبت .. وكتب أربعة كتب شهيرة منها: (كتاب الملاعين) و(أراض جديدة) .. كانت طريقته العلمية بسيطة جدًا: ما دام هناك من رأى الظاهرة فهي حقيقية ! البحث عن دليل علمي دقيق يضيع الكثير من المعرفة من بين أيدينا !

بعد موت الرجل صار أتباعه في كل مكان يحققون في مواضيع مثل الرجل المث ودوار المحاصيل وطائرات الهليوكوبتر

السوداء، والساسكواش والرجال ذوي الثياب السود .. وهم مستعدون لتصديقك في أي شيء تقوله ..

الحقيقة أن الرجل كان مزيجًا ظريفًا من تصاب ومخبول، لكن إن كان قد حقق من حياته شيئًا فهو أنه ترك اسمه على كل ظاهرة غريبة ...

دعاني د. (شنايدر) إلى بيته الريفي الجميل، وهناك ـ بعد غداء رائع ـ عرض عليّ ذلك الصندوق الذي ابتاعه من مزاد علني ... والغريب أنه ابتاعه من الولايات المتحدة برغم أن صاحبه الأصلي نمساوي (أو هكذا قيل) ..

بالنسبة له لم يكن يصدق أن له أهمية ما، لكنها طريقته المعتادة في عدم الاحتفاظ بآراء مسبقة عن أي شيء ..

قال لي وهو يعرض عليّ الصندوق المعدني الذي يبدو واضحًا أنه حديث الصنع، وأنه جاء للعالم في زمن التقنيات الحديثة وصقل المعادن ..

ـ «(فلهلم رايخ) ... العالم اليهودي الذي توفي عام 1957 .. واحد من علماء قلائل زعموا أنهم أوجدوا الحياة في المختبر !»

أطلقت ضحكة عالية:

ـ «هنا ينتهي الأمر بالنسبة لي .. لست مستعدًا لسماع أكثر ..»

قال :

ـ « فعلاً هذا هو الجزء المجنون من كلامه .. لم يهتم بهذا الزعم أي واحد من علماء البيولوجي .. لكن الرجل زعم فعلاً عام 1935 أنه توصل إلى إحياء الفحم ، وقد توصل لكائنات وحيدة الخلية تشبه الأميبا .. »

ـ « وما هو الجزء العاقل من كلامه ؟ »

ـ « هناك كلامه عن طاقة (الأورجون orgone) .. لقد كان مهتماً بنظريات فرويد ثم اختلف معه .. من ثم كون نظرياته الخاصة .. قال إن سبب كل مشاكل الإنسان يعود للاضطرابات العاطفية ، وإن علاج المرء يتوقف على الاستقرار العاطفي .. »

ـ « في هذا لم يبتعد عن فرويد نفسه .. »

ـ « نعم .. لكنه قام بجمع طاقة (الانتشاء Orgasm) هذه .. الطاقة التي يشعر بها الإنسان لحظة النشوة ، وأطلق عليها اسم (أورجون) ، وزعم أنها قابلة للقياس .. وزعم أنه وضعها في صندوق .. المفترض أن هذا الصندوق قادر على شفاء أي مرض نفسي .. »

ـ « فكرة جميلة لكن أي مصحة عقلية تعج بعبقرية مثله .. »

ابتسم د. (شنايدر) ، وقال :

ـ « على كل حال فر الرجل من النمسا عام 1939 قبل أن يحوله النازيون إلى سجق .. هرب إلى الولايات المتحدة وبدأ يمارس طريقته في العلاج .. طبعاً ليست الأمور سلمية بهذا الشكل في الولايات المتحدة ، وسرعان ما وجد نفسه في السجن عام 1956 بتهمة التجنح لأن إدارة الدواء والعلاج FDA اتهمته بذلك .. ومات في السجن بعد عام .. »

ـ « قصة مأساوية .. »

ـ « الجميل في الأمر هو أن لدي ما يؤكد أن هذا هو الصندوق الذي يحوي طاقة (أورجون) .. لقد دخل (رايخ) السجن ، واستولى على الصندوق أحد تجار العاديات ليبيعه لثري .. وسرعان ما بيع في مزاد علني . ترى ماذا يوجد فيه ؟ هل هذا ممكن ؟ الطاقة التي تحرك البشر والمسئولة عن علاج كل اضطراب نفسي هنا ؟ فهل نفتحه ؟ »

قلت وأنا أتحسس المخمن الصغير للصندوق :

ـ « لم لا ؟ »

بحث عن بعض الأدوات وراح يعالج القفل المعقد الذي يغلق الصندوق .. كان هناك لسان يزلق إلى جانب .. وكانت هناك مجموعة من البراغي ..

أخيراً فتح الصندوق .. ومددنا عنقينا في توجس لنرى ما فيه ..

كان فارغاً تماماً ..

فقط كانت هناك ورقة كتب عليها بالألمانية : (طاقة أورجون) !

انفجرنا ضاحكين ..

دعابة عملية قاسية فعلاً .. خاصة بالنسبة للرجل الذي دفع مالاً من أجل هذا السخف ..

قلت له وأنا أسترخي في مقعدي :

ـ « هذا درس قاس لكنه يعلمك الكثير .. »

ـ « ليست هذه أول مرة ! »

جلست أتأمل الحجرة .. ثم توقفت ..

على السقف أرى ذلك البرص الصاخب الذي يبلغ حجم كمساح .. متى دخل وكيف ؟ هل هذا طبيعي ؟

صرخت أنادي د. (شنايدر) ، فقط لأجد أن سيارة الأندرفر كاملة تنحشر في فمي فلا أستطيع الصراخ .. بصقت السيارة لكنها ضربت (نشي جيفارا) في جبهته فصرخ بالأسبانية وتزف دماً ومات ..

د. (شنايدر) كان على السقف يمشي بالمقلوب .. بدا لي هذا مضحكاً جداً فرحت أضحك وأضحك ..

هنا رأيته يخلق طائراً وقد تضخم رمادة كما يحدث في القصص المصورة لإضحاك الأطفال ، ثم ظهر (فرويد) على الباب ليخبرنا أن الغداء جاهز ..

قلت لـ (فرويد) إننا تناولنا الغداء فعلاً ..

هنا أطبق عقربا الساعة على عنقه وقطعا رأسه ..

إنها السادسة مساء .. موعد لقائي مع حرف O ..

هذا الصندوق يبدأ بحرف hddioyvvmnboiyolhhjjklhkjlhk ..

لا .. بل هو مليء بالأورجون .. من هنا جاء حرف O .. أوه .. أوه ...

هنا صرخ د. (شنايدر) :

ـ « أنت غول ! أنت لست (رامت) .. أنت غول ! ماذا تفعل في بيتي ؟ »

ورأيت في يده مسدساً يطلق منه الرصاص علي .. رحت أحلق في سماء الغرفة وأنا أضحك .. لن يستطيع الظفر بي لأنني صديق (أبو العلاء المعري) .. من يستطيع أن يقتل صديق (أبو العلاء المعري) ؟ إنه لواء شرطة شديد الأهمية واسع النفوذ .. أنت غير نظيف يا د. (شنايدر) .. لديك كمساح على السقف .. منذ متى يعمل (فرويد) خادماً عندك ؟

للحظة استعدت وعيى وفطنت إلى أننى أركع على أرضية الغرفة الخشبية الباردة وأشرح وجهات نظر لا وجود لها .. وفطنت إلى أن (شنايدر) يمسك مسدسًا فعلاً وهو يحاول جاهدًا أن يصوبه علىّ ..

ـ « (شنايدر) .. كف عن هذا ! »

لكنه لا يسمع ..

كان (رايخ) نصابًا فيما يتعلق بخلق الحياة، لكنه فيما عدا هذا عبقرى .. عبقرى بالتأكيد ..

بطريقة ما وفى ظروف ما تمكن هذا الرجل من جمع المادة الخام للجنون ..

لقد وضع الجنون فى هذا الصندوق وأغلقه ..

ثم جاء (شنايدر) ليفتحه !

إنه يصوب مسدسه نحوى وهذه المرة يبدو أن تصويبه تحسن ..

فليرحمنا الله جميعًا !

* * *

P

أنت تعرف هذا الطريق ..

تنظر إلى ساعة يدك فتجدها الرابعة بعد الظهر ..

الرابعة بعد الظهر .. لكن ما سبب هذا الظلام ؟ وما سر المصابيح المضاءة فى الشوارع ..

كل شىء كئيب غريب .. والضباب اللعين يجعل الرؤية شبه مستحيلة ..

لكنك تعرف هذا الشارع وتعرف هذا الجو .. بل إنك ـ لو شئنا الدقة ـ تعرف رائحة هذا الضباب ..

أنت فى (لندن) .. لا شك فى هذا .. أنت جئت للندن عشرات المرات .. يمكن القول إن هناك جزءًا بريطانيًا فى عقلك ..

لو شئنا الدقة أكثر لقلنا إنك فى شارع (سانت ماركس) فى (نورث كنزنجتون) .. هل تذكر المزحة التى كنت تتبادلها مع صديقك المصرى الذى قال إنه ضل طريقه فى العاصمة البريطانية ؟ قلت له أن يسأل الناس عن مكان (نورث كنزنجتون) .. هذا يخبره باتجاه الشمال على الأقل !

لكنك بالفعل لا تعرف إلام تتوجه ومن تقصد .. لو كان هناك هاتف قريب لاتصلت بـ (ماجي) ، وإن كانت لن تخف لنجدتك لأنها هناك في الشمال في (أدرتسشاير) ..

أنت تمشي بعيدًا عن هدى أو ضوء ..

فجأة ترى الكشافات ويذوب الضباب .. تشب إلى الرصيف لترى ذلك الوحش الأحمر يتقدم خارجًا من المنحنى .. الحافلة البريطانية ذات الطابقين double - decker حمراء اللون التي تميز (لندن) ..

هذا جميل .. على الأقل سوف تقودك إلى مكان ما تعرفه ..

يفتح الباب فتصعد ..

السائق ينظر لك في فضول .. إنه رجل أشيب يلبس نظارة سوداء وفي الخمسين من عمره ، له سحنة بريطانية جدًا .. يقول لك بتلك اللهجة المميزة للطبقة العاملة :

ـ « عصرًا سعيدًا يا سيدي .. »

ـ « عصرًا سعيدًا .. »

وتضع العملة في آلة الصرف التي جواره ، ويغلق الباب ..

تتقدم وسط الحافلة لتجلس خلفه ..

حتى هذه اللحظة أنت تتساءل عن السبع الذي يحمل حرف P .. على الأقل هذه حافلة Bus وهذا سائق driver .. لا يوجد شيء مريب ..

تشق الحافلة طريقها في شوارع لندن ، بينما تسأل السائق متجاهلاً التعليمات التي تطلب منك ألا تتحدث معه :

ـ « أين نحن ؟ »

يقول لك وهو ينقف الزجاج بمنشفة :

ـ « (كامبردج جاردنز) ... لقد قاربنا على تقاطعها مع شارع (سانت ماركس) .. من حسن الحظ أنك وجدتنا .. »

ـ « وما المشكلة ؟ »

ـ « أنت تعرف موضوع الـ (بوبو باوا) .. »

هذا ملت نحوه وقبل أن تسأل عن أي شيء آخر توجه له سؤالاً :

ـ « هل يبدأ هذا الاسم بحرف P أم B ؟ »

ـ « P يا سيدي كما في Pen .. هل سمعت عنه ؟ »

ـ « لا .. »

قال في استمتاع وهو يدير المقود نحو اليسار :

- « هنا في هذه المناطق مهاجرون أفارقة .. يحكون عن عفريت اسمه (بوبو باوا) .. يبدو أنه جاء معهم من أفريقيا .. إنه يهاجم الرجال ويعتدي عليهم ، والحقيقة أن هناك هجمات عدة هنا ، لكن الشرطة لم تجد أي دليل .. »

استرخيت في مقعدي .. هذا هو المسخ الذي سأقابله الآن ..

لا تضيع وقتك في الشرح يا صاحبي .. هذا المكان لي .. إنه مخصص من أجلي ..

* * *

تحاول أن تختلس النظر للجالسين معك في الحافلة .. لا شيء .. إنهم صامتون وأكثرهم نائم ..

تعود بنظراتك إلى ظهر السائق الجالس أمامك ..

تراه ينظر لك في المرآة وهو يبتسم خلسة .. لابد أنه يستمتع بإفزاعك .. لكنه فجأة يتوتر ..

هناك انعكاسات تظهر في المرآة ..

- « تبًا لكم ! »

يقولها ويضغط على دواسة البنزين .. تتسارع الحافلة أكثر .. يصحو الناس من نومهم وينظرون إلى الخلف ..

هناك دراجتان بخاريتان تطاردان الحافلة كما هو واضح .. تنظر من النافذة جوارك فترى دراجة منهما تحت مستوى النظر يركبها شرطي بريطاني صارم الوجه يضع خوذة على رأسه ويتكلم في اللاسلكي ..

تهتف به :

- « هؤلاء رجال شرطة .. لماذا لا تتوقف ؟ »

يقول لك وهو يدير المقود في منحنيات بالغة الخطر :

- « لا تصدق كل ما تراه .. معظم الحوادث التي حكيتها لك بدأت برجال شرطة مزيفين .. »

يهتف أحد الركاب وهو رجل يلف عنقه بكوفية :

- « ربما كانوا رجال شرطة فعلاً .. أنت بهذا تختلف للقانون .. »

يقول السائق وهو مستمر في القيادة :

- « قل هذا لغيري .. أنا أعرف كل كونستابلات لندن .. هؤلاء ليسوا منهم .. »

يميل بحدة إلى اليمين .. لا يلمس الدراجة التي بجواري لكنه أربك سائقها مما جعله يندفع نحو الرصيف .. وهناك اصطدم بالجدار والتف ..

ـ « جميل .. جميل ... »

من جديد يقترب الكونستابل الآخر جوار نافذة السائق ..

المخيف في الأمر أنه لا يأمر السائق بشيء .. لا يبدي غضبًا .. فقط ينظر له نظرات باردة من حيث يركب دراجته البخارية ..

تهتف امرأة من الخلف :

ـ « أقترح أن تتوقف وتفهم .. »

ـ « لا .. لن يعطينا فرصة .. »

من جديد يسبق الدراجة البخارية ..

(بوبو باوا) ! اسم هذا المسخ كذلك .. وهو اسم أفريقي جدًا .. لكن غريب أمر ذلك المسخ الذي يقود دراجة بخارية ..

يبدو أن الدراجة البخارية تلحق بالحافلة ..

هذه المرة يرفع الكونستابل جهاز اللاسلكي ويتكلم فيه تحت نافذتك ، بينما الدراجة مستمرة في المطاردة .. لهذا يصيح ولهذا تسمعه ..

إنه ينظر لك في ثبات من وراء نظارته السوداء .. لكنه يواصل الكلام ..

ترى هل يمكن أن يتزحزح الزجاج ؟ تحاول ذلك بأنامل مرة ومرتين حتى يهبط .. الآن يتسلل البرد القارس ومعه صوت رجل الشرطة وهو يواصل الكلام :

ـ « نعم .. أؤكد لك أن (مايكل) أصيب .. أنا أواصل مطاردة الحافلة الشبح .. لا أعرف ما يجب عمله .. »

هنا فقط تفهم ..

الحافلة الشبح ..! .. Phantom bus ..! .. مسخ يبدأ اسمه بحرف P ...

قرأت الكثير عن هذه الحافلة التي تظهر بالضبط عند الملتقى الحاد بين تقاطع (كامبردج جاردنز) مع شارع (سانت ماركس) في (نوتنج هيلجيتون) .. لقد سببت الكثير من الحوادث في الثلاثينات حتى اضطرت بلدية (لندن) لجعل التقاطع أقل حدة ..

هذان رجلا شرطة حقيقيان إذن !

هناك شيء واحد غير حقيقي ..

هنا فقط رفعت رأسي لأجد السائق ينزع عوينات السود .. أرى بوضوح تلك الفجوتين مكان عينيه .. لا توجد عينان .. أنظر للركاب خلفي فأفهم لماذا يلتحف معظمهم بهذه الكوفيات ..

يقول السائق ضاحكًا :

ـ « هل صدقت كل هذه القصة السخيفة عن (بوبو باوا) .. لم يكن الهدف منها إلا التضليل ! على فكرة أنت أول راكب يصعد إلى حافلتنا في التاريخ ! »

تتكمش في مقعدك ..

ترتجف .. ليس بفعل البرد ..

تنظر خارج النافذة لترى الشرطي ما زال يواصل إبلاغ جهة ما :

ـ « نعم أوك .. أنا أقفي أثر الحافلة الشبح .. أريد تعزيزات .. هناك رعاب وأحدهم يناظر لي من النافذة في ثبات .. أعتقد أنه شبح آخر .. بالتأكيد هو كذلك ! »

* * *

Q

الخامسة مساء ..

هناك أكثر من طريقة لكتابة كلمة (قبالة) .. ربما تكتبها هكذا Kabbalah أو هكذا Qabbalah .. أو تبدأ بحرف C .. لكننا نتكلم عن الشيء ذاته ..

معنى الكلمة هو (من الفم إلى الأذن) واللفظة تحمل معنى (الاستقبال) عامة .. إنها تلك الطقوس السحرية ذات الطابع اليهودي ، قبل أن ..

ما هذا .. هذه مغامرة أخرى مثيرة ..

الأخ (لوكيوس) يقول ..

يعتمد على أن لفظة (قبالة) قد تندرج تحت حرف الـ K أو الـ Q ..

واضح أني سأخوض هذه المغامرة المثيرة مرة أخرى إلى أن أصل إلى السادسة مساء .. ربما يجلب لي حرف الـ K بعض المرح ..

* * *

www.liilas.com/vb3

R

يقول لك ـ (هانس شنايدر) وهو يتحسس إطار عويناته :

ـ « هذا هو الصندوق .. »

تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار فتجد أنها السادسة مساء .. وقت مناسب جداً لمقابلة مسخ يبدأ اسمه بحرف R لكن ما هو ؟

يقول لك وهو يخرج عدسة يتفحص بها الصندوق :

ـ « هذا هو (صندوق الأورجون) .. أنت تعرف ما قد تجده في صندوق كهذا .. ثعبان .. عقرب .. بعض الأوراق .. ماسة الكوهينور .. هل تقتحمه ؟ »

تتأمل الصندوق ثم تشعر بشيء غريب ..

هل هي حالة مقتبسة من ظاهرة (ديجا فو Déjà vu) أم أنك بالفعل مررت بهذا الموقف من قبل ؟

مررت به فعلاً في الثالثة بعد الظهر ..

هناك غش في الأمر .. الأخ (توكوريو) يقرر نفسه ..

ثم فطنت إلى أن صاحب الصندوق يدعى (رايخ Reich) .. عالم يهودي مجنون يذكرك بـ (مسمر) و (سام كوليسي) .. البعض اعتقد أن (تسلا) ينتمي لهؤلاء لكن (تسلا) كان عبقريًا فعلاً ...

هذه هي مغامرتي مع حرف R إذن .. لقد مغامرتي مع حرف O من قبل ..

لا يوجد شيء مملا من الغش في هذا العالم القاسي ..

حتى لعنات السحرة الأفريقيين !

* * *

S

منذ عرفت (لمياء) عرفت أنها تنتمى لعالم الشيطانيين إياه ..

كانت قد عادت من الولايات المتحدة ولا تسمع إلا أغانى (لديث ميتال) ، وكانت تتحدث باستهتار عن (أنطون لافى) - الذى كان حيًا فى ذلك الوقت - وهو مؤسس معبد الشيطان الذى يشبه فى ملامحه إبليس تمامًا ..

أظفار مصبوغة بالأسود .. حلية فى الأنف ..

كل هذا ليس مشكلة .. ربما هو نوع من التشبث المخبول بالموضة .. لكنها تحافظ باهتمام غير عادى على رقم 6 فى كل شىء تلبسه ..

السلسلة على صدرها تحمل رقم 616 من الذهب .. هناك وشم على معصمها برقم 616 .. وشم على أعلى كتفيها بذات الرقم ..

وهى تفتخر دومًا بأن عيد ميلادها فى السادس من يونيو .. أى أنه فى 6/6 ..

إن الرقم ستة ذو أهمية شديدة فى الثقافة البشرية .. والشعوب تتعامل معه بطرق مختلفة .. مثلاً هناك قبيلة أفريقية تطلق على رقم ستة لفظ (إلا) .. عندما يعجب الشاب بفتاة ويقدم لها ست أصداف .. فترد عليه بثمان .. لأن نطق رقم ستة عندهم هو نفسه نطق كلمة (ارتباط) .. ونطق رقم ثمانية هو نفسه نطق كلمة (موافقة) ..

بالنسبة للثقافة المسيحية - الكاثوليكية بالذات - فإن رقم 666 حسب الكتاب المقدس هو (سمة الوحش) .. والثقافة الغربية تربط هذا الرقم بالشيطان .. قيل إن هذا الرقم يرمز لضد المسيح Antichrist وهو قريب من المسيخ الدجال عندنا .. أو يرمز لخادمه الذى يحمل هذا الرقم على جلده أو على شكل وشم .. (كراولى) الساحر الشيطانى الشهير كان يدلل نفسه باسم 666 ..

على أن أغلب دارسى الكتاب المقدس رأوا أن رقم 616 هو الأكثر دقة ..

* * *

كان (مصطفى) صديقى هو من جاء لى .. أطيرلى بقصة (لمياء) ابنته التى كانت فى زيارة لأخيها فى الولايات المتحدة وعادت بهذه الطباع الغريبة ..

لم يكن يفهم شيئًا .. فقط هو لاحظ أنها لم تعد تستحم .. وصارت تمشى النهار كله نائمة وتخرج ليلاً ..

هكذا قمت بزيارته ورأيتها .. كانت علامات شك كثيرة تحيط بها فعلاً ..

هكذا خرجت من عند (مصطفى) لأقابل الشخص الوحيد الذى أعرفه فى مصر الذى يمكن أن يساعدنى فى هذه الأمور ..

كان الأب (جيرار) قسًا كاثوليكيًا يقيم فى مصر منذ أربعين عامًا .. إنه بلجيكى كما يوحى الاسم - وهو رجل مثقف متعمق فى هذه الأمور .. بالطبع هو يتحدث العربية كأهلها ..

جلسنا لشرب القهوة فى الأبرشية التى يصلى فيها ..

سألته عما أصاب تلك الفتاة .. هل هى مجرد موضة أم أن هناك ما يقلق فعلاً ؟

قال لى باسمًا :

- « الفارق بين الموضة والتغير الحقيقى هو علامة الوحش Mark of the beast .. لو استطعت أن تجد رقم 616 أو 666 على جلدها حقيقة - وليس وشمًا - فالأمر مخيف .. »

ثم أصلح من وضع نظارته الرفيعة على أنفه ، وأردف :

- « يخلط الناس بين علامة الوحش التى أحكى لك عليها ، وبين علامة الشيطان Devil's Mark أو stigmata diaboli التى هى ندبة كان مساندو الساحرات يزعمون أن الشيطان يضعها

كعلامة على من يخصونه من البشر .. والنوع الثالث من العلامات هو علامة الساحرات witch - mark التى هى نوع من البروز فى جسم الساحرة اعتقد مساندو الساحرات أن الشياطين ترضع منه .. »

بدا لى الأمر معقدًا ومرعبًا بما يكفى .. على كل حال لقد امتلأ كتاب (مطرقة الساحرات) بهراء كثير ، وبسببه هلكت نساء بريئات كثيرات ..

قال لى وقد لاحظ شرودى :

- « أنصحك أن تنسى الأمر .. لن تستطيع عمل شىء حتى لو كانت تحمل دزينة من العلامات .. لن تقتلها وتقول للشرطة إنك قتلت ساحرة .. »

كان محقًا .. للأسف لا أستطيع مساعدة (مصطفى) إلا بأن أقترح عليه طبيبًا نفسيًا ..

على أن القس أحضر لى نسخة من كتاب (مطرقة الساحرات) .. الكتاب الذى قرأته متقرفًا فى عدة مصادر .. هذه المرة لديه نسخة مصورة كاملة .. راق لى هذا كثيرًا ..

هذا الكتاب كتبه راهبان من الدومنيكان عام 1486 هما (كريمر) و(سبرنجر) وصار هو دستور محاكمة الساحرات وحرقهن . ويتلخص الكتاب فى أن عبدة الشيطان هم من النساء غالبًا لأنهن

أكثر هشاشة وشهوانية وحقداً. إنهن يقتلن الأطفال ويفترسن الأوبئة ويسممن الماشية ، ويركبن المكانس ليلاً ذاهبات للغابات حيث ينغمسن في الشهوات الجنسية. قيل أيضاً إنهن يشربن دماء الأطفال غير المعمدين ويطعن عقائمهم لاستعمالها كمساحيق سحرية. بعد هذا صدر كتاب Compendium Maleficarum الذي كتبه ماريا جوانسو عام 1620 وقد أضاف لهذه الصفات أن الساحرات يركبن في الهواء على ظهر جدي ، ويستطعن الاختفاء عن طريق دهن أجسادهن بكريم خاص . والشيطان يحضر هذه الاجتماعات في صورة يومة أو جدي مخيف .

كانت عمليات الاستنطاق قاسية حتى أن النساء المتهمات كن يعترفن في النهاية ويحرقن ، وهكذا يبدو لمن يقرأ التاريخ أن القرون الخامس والسادس والسابع عشر كانت أعواماً لا تنتهي من عبادة الشيطان والحرق .

* * *

لسابعة مساء ..

أعرف أن موعدي مع حرف S قد جاء .. لكن ما هو ؟

هل هو مع علامة الشيطان stigmata diaboli أم مع رقم 6 الذي هو Six ؟

دق جرس الباب فتحته لأجد أمامي (لمياء) كما توقعت ..

- « هل تسمح لي بالدخول ؟ »

- « هل لي أن أعرف السبب ؟ »

- « أنا في مشكلة وأنت صديق .. ظننت هذا واضحاً .. »

هززت رأسي وتنحيت جانباً ..

جلست في الصالة ووضعت ساقاً على ساق وراحت تتأمل شقتي التي تراها لأول مرة ..

سألتها :

- « كيف حال بابا ؟ »

لم ترد وأشعلت لفافة تبغ ..

لقد سألتها عن أبيها في حزم كي تتذكر أنها مجرد طفلة وأنني (عمو) .. لا أريد أتعابا سخيفة من فضلك .. دعك من أنني مشمئز فعلاً من مظهرك الذي جعلك تتحولين من فتاة رقيقة إلى كائن أقرب للغراب ..

تولا لعنة الأخ (لوكيريو) لما سمحت لك بالدخول ، لكنني مرغم على ذلك .. هذا جزء من القبضة الحديدية التي تحرك الأحداث ..

قلت لها في رفق :

ـ « (نميساء) .. لنتكلم بصراحة .. هل هناك أية علامات غريبة ظهرت في جسمك مؤخرًا ؟ »

نظرت لي ثم ضحكت بدلال ، وقالت :

ـ « أية علامات يا شقي ؟ »

يا فتاح يا عليم ! لا أريد أي نوع من هذا السخف .. قلت لها في صبر :

ـ « اسألك تطبيب .. هل يوجد أي وشم غريب أو وحمة تحمل رقم 666 ؟.. »

ـ « بالطبع لا .. »

ـ « ولا بروز في أي جزء ؟ نوع من التأليل أو الدمامل ؟ »

ـ « لا .. »

عرفت أنها صادقة .. بالتأكيد صادقة برغم أن الشيطانيين يعشقون الكذب ..

يمكن القول دون خطأ كبير إنها مجرد فتاة مخبولة أخرى .. وقعت في يد الأصدقاء غير المناسبين في المكان غير المناسب في الزمن غير المناسب ..

ـ « هل تعتقدين أنك أكثر فتنة بهذه الطريقة ؟. بهذه الطباع ؟ »

ـ « أنا لا أعتقد أي شيء .. فقط قابلت في الولايات المتحدة من أخبروني بحقيقتي التي كنت أجهلها .. »

ـ « وما هي هذه الحقيقة ؟ »

ابتسمت في غموض ...

هنا شعرت بشيء غريب ...

هل عطرها يدير رأسي ؟ هل أشعر بأنني لست على ما يرام ؟.. هل .... ؟

ونهضت أحاول أن أتوازن لكن ساقي خذلتا عني ..

سقطت على الأرض لكني احتفظت بوعيي ..

كنت هناك على الأرض وهي ترشح جواري .. تنفث دخان لفافة التبغ في وجهي .. ثم قالت في دلال :

ـ « أصدقائي في الولايات رائعون .. منهم تعلمت الكثير من الأشياء .. ومنهم عرفت أنني جئت العالم كي أكون (القوية) .. هل تعرف معنى القوية ؟ »

نظرت لها عاجزًا عن الكلام ..

قالت وهي تنفث المزيد من الدخان في وجهي :

ـ « هناك من يأتي العالم وهو لا يعرف أنه موسيقار .. هناك من يأتي العالم وهو لا يعرف أنه رسام موهوب .. أنا جئت العالم وعشت هذا العمر كله غير مدركة أنني (ثقوبة) .. هؤلاء جعلوني أعرف حقيقتي .. »

الثقوبة Succubus هي المعادل الأنثوي للجاثوم : أنثى تزور الرجال في غرابيسهم .. يلذات الرجال النائمين على ظهورهم .. تسلبهم الحياة وفي الصباح يجدونهم موتى ..

قالت هامسة :

ـ « إن نظام لقافة الثيغ هو سبب ما يحدث لك .. هذا نوع من المخدرات جلبته من هناك ، وقد اعتقد أنه لم يعد يحدث شيئا لي .. الآن أنت أول ضحية لي في مصر .. لا أريد أن أبدأ حياتي بقتلك .. »

في Succubus .. مسخ يبدأ بحرف الـ S .. ومن جديد كنت أفكر في اتجاه خاطئ تماما ..

على أنني برغم كل شيء رأيت بطن ساعدها .. رأيت بوضوح وحمة يمكن أن تتبين فيها شكل 666 .. ليست وشما بل وحمة ..

هذا يعطيني بعض الترضية قبل موتي .. إنها تحمل علامة الوحش .. لهذا اختاروها ..

العالم يظلم من حولي ..

لم يبق منه إلا رقم 666 ..

T

من بين كل تراث السحر الذي تركه الفراعنة ، يحظى (تحوت Thoth) بنصيب الأسد لدى المهتمين بهذه الأمور ..

يجب أن نتذكر أن (كرولي) الساحر الشيطاني الأشهر قضى جل حياته يدرس سحر (تحوت) ، وأن هناك نوعا من أوراق التاروت يحمل اسمه .. بل قيل إن أوراق التاروت نفسها من اختراعه .. وهناك طريقة لقراءة التاروت ابتكرها (كرولي) وشرحها في كتاب شهير اسمه (كتاب تحوت : التاروت الفرعوني) ..

كانت لهذا الإله الفرعوني أهمية خاصة لأن الفراعنة اعتبروه رب الحكمة .. إله السحر عند الفراعنة الذي يتخذ شكل طائر البلشون ، أو قرد بابون يحمل البدر على رأسه ، وإليه ينسب اختراع الكتابة. كما قيل إنه ابن رع الأكبر ، وإنه وزير أوزيريس والحكم بين الناس .

سوف ترى صوره في النقوش الفرعونية على شكل رجل برأس طائر (أبو منجل) أو على شكل قرد البابون .. هل تعرف ما هو ؟ إنه القرد الذي يشبه رأسه رأس الكلب .. زوجته ـ زوجة (تحوت) طبعا ـ تدعى (معات) وهي امرأة تضع ريشة نعام على رأسها ..

إن المنطقة حول المنيا تعد كنزاً ثرياً من كنوز الدولة الوسطى .. جبانة بنى حسن .. مدينة هرموبوليس التى تقع شمال ملوى .. وهى مركز عبادة (تحوت) ..

لاحظ أن اسم (هرموبوليس) يونانى تماماً ومعناه (مدينة هرمس)، فقد وجد الإغريق أن (تحوت) يشبه إلههم (هرميس) كثيراً لذا أطلقوا على المكان اسم (هيرموبوليس) ... لكن اسمها الفرعونى هو (خمونو) .. كانت عبادة (تحوت) تتم هناك وعلى كل حال لم يبق كثير من هذه المدينة..

فى (ملوى) أكبر حقل للآثار الخاصة بـ (تحوت) .. مقبرة (بيتوسيريس) و(هيرموبوليس) وهناك (تونة الجبل) .. كانت (تونة الجبل) فى الماضى تعد مدينة (أخيتاتون) كما كانت أيضاً جبانة مدينة (هيرموبوليس) المجاورة .. إن (هيرموبوليس) تبعد خمسة كيلومترات شمالى (ملوى)، و(تونة الجبل) ستة كيلومترات غرب (هيرموبوليس) ..

فى (تونة الجبل) مقابر لقردة البابون وطائر (أبو منجل) .. يمكنك الآن فهم لماذا هذا القرد وهذا الطائر بالذات ..

* * *

لم يبق الكثير من مدينة (أخيتاتن) .. (أقل آتون) ..

المدينة الجميلة التى بناها (أخيناتون) ليعبد فيها إلهاً واحداً ولتكون عاصمة العمارنة .. بعد وفاة (أخيناتون) فى ظروف غامضة دمر الكهنة هذه المدينة، معلنين نهاية عصر التوحيد .. هكذا عاد (آمون) يسيطر على هذه البقاع .. ليس من العسير أن تعرف من هو قاتل (أخيناتون) .. إن أى شخص يحاول تقليل كميات الذهب والفضة واللحم والطيور والفجل والبصل التى يظفر بها الكهنة من المتعبدين لـ (آمون) .. أى شخص يقلل من نفوذهم المرعب هو شخص مقضى عليه بالموت ..

كنت أجوب تلك المنطقة مع د. (رمزى حبيب) خبير المصريات .. أنا المحظوظ الوحيد الذى يمكنه أن يرى تلك الآثار حول (ملوى) بصحبة خبير مصريات وليس بصحبة ترجمان يحكى القصة كما يذكرها لا كما هى .. خبير مصريات وقد هنا فعلاً ...

اعتقد أنها كانت أياماً لا تنسى ..

لكنى بالفعل كنت أشعر برهبة .. هناك سر غامض كئيب يحيط بهذا المكان ..

فرغت من التقاط الصور فجلست على صخرة هناك أتهت ..

قال لى د. رمزى :

ـ .. غداً نمرّ بـ (تونة الجبل) .. لن ترى الكثير لأنها خراب .. لكنك سوف تجد تماثيل قرد البابون الشهير .. *

كان هذا هو يوم السبت .. وقد قررنا أن نمضي ليلتنا في (مانوى) على أن نتحرك صباحًا ..

هكذا عدنا للفندق الصغير، وتناولنا وجبة خفيفة ..

كانت فضاي تعويان أمنا كأن فيهما قلبًا خاصًا بهما ينبض بلا انقطاع ..

قال لي د. (رمزي) وهو يبدل ثيابه بثياب نظيفة :

ـ « لن أستطيع النوم ما لم أجلس على أي مقهى وأدخن سجارين .. هل تأتي معي ؟ »

نظرت له في دهشة .. ما زلت عاجزًا عن فهم هؤلاء الذين يدخنون الشيشة .. لو أراد المرء قتل نفسه فلماذا هذا التعقيد .. لكنه كان يدخن الشيشة كي لا يتجه إلى البديل الأسهل وهو السجائر .. لا يريد أن يجد وسيلة الانتحار متاحة أمامه في كل وقت ..

قلت له إنني مرهق وإنه لو سقطت قنبلة هيدروجينية على الفندق فلن أتحرك ..

هكذا غادر المكان وجلست وحدي ..

مر الوقت وهو لم يعد بعد .. ساعة .. ساعتان ..

في الواقع بدأت أشعر بملل حقيقي ..

هكذا فعلت آخر شيء يمكن أن أقوم به وهو أنني ارتديت ثيابي للخروج وأخذت الكاميرا ..

كان الظلام قد خيم على المدينة وأنا واقف على باب الفندق أنظر ذات اليمين وذات اليسار ..

ـ « هل تريد جولة يا أستاذ ؟ »

كان هذا فتى أسمر يقود سيارة أجرة عتيقة .. فكرت قليلاً ثم وجدت أنه لا بأس بذلك ..

ـ « هل تعرف كيف أذهب إلى (تونة الجبل) ؟ »

نظر لي في دهشة .. ثم قال :

ـ « في هذا الوقت ؟ لن أستطيع أن أدخل بك هناك .. الطريق وعر .. لكني يمكن أن أقرب المسافة .. »

بدا لي أنه من المثير أن ألقي نظرة على جبانة (هيرموبوليس) هذه، خاصة أني لست وحدي، وهي لا تبعد أكثر من خمسة كيلومترات .. سوف أرى ما يفترض ألا أراه إلا صباحًا .. هذا على سبيل الفضول ..

ركبت جواره .. كان فتى صعيديًا فريدًا يدعى (حميدة) ، وقد راح يثرثر بلا انقطاع . وعرض على أكثر من مرة أن يأتي ليصحبنا غدًا أو يرتب لنا جولة خاصة .. اعتذرت لأن معي خبير مصريات يعرف ما يفعله .. خبير مصريات يدخن الشيشة منذ ثلاث ساعات ..

أخيرًا توقف الفتى بالسيارة قرب مجموعة من الأطلال التي غمرها الظلام . وقال وهو يشير هناك :

ـ « هنا مقابر (هيرموبوليس) .. يمكنك أن تقوم بجولة لكن لا تبتعد .. سوف أنتظرك .. »

نظرت لساعتي فوجدت أنها الثامنة مساء .. قلت له إنني سأعود بعد ربع ساعة ..

ـ « لا تقلق يا أستاذ .. نحن صعايدة . سأنتظرك مهما طال غيابك . وإلا فكيف ترجع في ساعة كهذه ؟ »

هكذا ترجلت ومشيت بين تلك الأطلال ..

فعلاً لا يوجد الكثير مما يمكن رؤيته ..

لكن القمر شبه مكتمل والرؤية لا بأس بها ..

مشيت ومشيت حتى توارت السيارة تمامًا عني . كنت أعرف كيف أرجع ..

هناك مجموع من الأطلال توقفت بينها حتى وجدت أنني أطل على ساحة واسعة ..

من هؤلاء ؟

شعرت بقشعريرة ..

كان هناك عدد من الناس يقفون في دائرة اشتعلت النار في وسطها .. وكان عددهم لا يقل عن العشرين ..

بدوت أثر وتواريت وراء تمثال متهدم .. إنهم من الغربيين .. رجال ونساء .. وهم يقفون كأنهم يؤدون صلاة ما ..

هذا غريب .. منظر غير متوقع في مصر بأي حال ..

وسمعت كبيرهم يقول بالإنجليزية :

ـ « جئنا لتحييك يا (تحوت) في سيتنا .. ونسألك أن تقودنا إلى موضع كتاب الأسرار !! »

هنا فقط تذكرت ..

لماذا اخترت هذا الميعاد بالذات ؟

كل ساحر في العالم يعرف ما هو (سبت السحرة) .. Great Sabbath بالفعل هو احتفال مهم لدى السحرة الغربيين يقع في اليوم التاسع عشر من شهر توت.. اليوم بالذات ..

يعتقد السحرة أن (تحوت) كتب كتاب الأسرار الذى يداريه فى مكان خفى وحل شفرة هذا الكتاب يمنح سيطرة مطلقة على الطبيعة. نقل الإغريق هذه الصفات إلى إلههم هرمز وولدت ديانة خاصة بهرمز اسمها (الهرمية Hermites) . وكان سحرة مثل كراولى يحتفظون بهذه الهرمية فى خزائنهم.

من يجد كتاب الأسرار يسيطر على الكون أو هذا هو ما يعتقدونه ..

هذا المشهد لن يسعد المختصين بالسياحة عندنا .. عدد غفير من السياح جاء إلى مصر ، لكنهم فى الحقيقة سحرة يريدون إقامة احتفالهم الشيطانى فى موعده ..

وأنا تواجدت فى المكان والزمان الخطأ ..

فقط لو استطعت التقاط صورة واحدة لهذا المشهد .. أريد دليلاً ..

معى الكاميرا .. لكنهم سيرون نور الفلاش بلا شك .. فقط لو جربت أن أضبط الكاميرا على السرعة B التى تتيح لى إطالة التعريض طالما ظل الغلاق مضغوطاً ..

صورة واحدة ثم أفر من هنا إلى السيارة ..

هكذا قمت بتثبيت الكاميرا على الصخرة كى لا تهتز يدى .. وأخذت نفساً عميقاً ..

ضغطت على الغلاق ..

هنا فقط تذكرت أن الفلاش ملحق بالكاميرا اللعينة ، ولا يمكن تعطيله .. كنت أملك تلك الكاميرات الأوتوماتيكية طيلة حياتى ..

وكنت على حق !

لقد سبحت المقبرة فى الضوء الخاطف ..

لم أنظر للوراء ورحت أثب فوق الصخور .. وأنا أسمع الضجيج من خلفى .. أسمع بلغات عدة من يقول : هناوه ! لا تدعوه يبتعد ! إن تقاطع اجتماعنا للسحرة من تلامذة (كراولى) .. أهم اجتماع لهم فى العام .. هذا لن يمر على خير ..

أعرف أننى لن أتمكن من الفرار فى الوقت المناسب .. أعرف أننى سأنتظر .. أعرف أننى ..

فى النهاية أنا على الأرض وسط الصخور .. يبدو أن كاحلى التوى بشدة لكن هذه ليست المشكلة .. لن يسعدنى (حميدة) من هنا مهما فعلت ..

حولى أربعة منهم بالعباءات السود .. وعلى الوجوه علامات حمراء لا أشك فى أنها رسمت بالدم ..

إنهم يحيطون بى .. أحدهم ينظر للآخرين فى رسالة صامتة . كأنه يسألهم فيتلقى إشارة بالجواب .. افعل .. لقد درس اجتماعنا وعرف أكثر مما يجب ..

ينظر لى ..

ثم يرفع الخنجر ويهوى به ..

U

من أسخف الظواهر الفورتية Fortean التي تثير أعصابي قصص الأطباق الطائرة .. هناك عشرات القصص عن رؤية الأطباق الطائرة وقصص عن الفضائيين الذين يأتون إلى الأرض لاختطاف عينات من البشر ..

بالنسبة للعالم الغربي ، وجد معهد (جالوب) أن ثلث الأمريكيين يعتقدون بقينا أن الفضائيين قد زارونا .. هؤلاء الفضائيون رائقو المزاج يخطفون البشر ، لكن بعد أن يرسموا دوائر في المحاصيل ويمزقوا الماشية ..

ليس هذا فحسب .. إن مستوى الفضائيين الأخلاقي ليس شامخا للأسف ، لأنهم يغتصبون البشر بلا توقف .. هناك تقارير عدة عن اغتصاب البشر بوساطة كائنات فضائية ذات رءوس منتفخة ولون رمادي أو أخضر ..

تتكرر تفاصيل القصة كما يلي : فترة من النسيان ثم استعادة كل شيء تحت التنويم المغناطيسي .. الكل يحكي عن أجسام غامضة زرعها الغرباء في أجسادهم ، وكلهم يصف الغرباء بنفس الطريقة تقريبًا ..

ثمة طبيب نفساني من علماء (هافارد) كتب كثيرًا عما سمعه من مرضاه عن قصص الاختطاف هذه ، ولما كان مرضاه لا يعانون أية مشاكل نفسية (إذن لماذا هم مرضاه ؟) فقد وجد أن الحل الوحيد المريح هو أن هذه القصص حقيقية في مجملها !

يفسر معظم العلماء الجادين هذه القصص بالرغبة الدائمة لدى البشر في (السمو) .. الارتفاع إلى مرتبة أعلى .. إن تجارب الدنو من الموت والخروج من الجسد وتجارب الاختطاف بوساطة الغرباء تشترك في كونها تحمل الشخص إلى (أعلى) .. طبقًا موضوع المعاشرة مع الغرباء يدخل في نطاق الزواج من الجن في ثقافتنا ، وهي مجرد تعبير عن الكبت ويمكن تصنيفه تحت ما يسمونه (التفكير التواق wishful thinking) ..

* * *

تلقتها التاسعة مساء ..

وأنا أقف على الشاطئ الخالي في مرسى مطروح أنظر للسماء لأرى تلك الأجسام المضيئة ..

إذن أنا أواجه تجربة مع الـ UFO .. الأجسام الطائرة غير معروفة الهوية التي تؤرق الأمريكيين والعالم كله .. من الغريب أن ترى طبقًا طائرًا في مصر .. مصر أصلا لا تقع في النطاق الذي رسمه العلماء لهذه الحوادث .. الكويت مثلا تقع بوضوح ضمن هذا النطاق ..

U

من أسخف الظواهر الفورتية Fortean التي تثير أعصابي قصص الأطباق الطائرة .. هناك عشرات القصص عن رؤية الأطباق الطائرة وقصص عن الفضائيين الذين يأتون إلى الأرض لاختطاف عينات من البشر ..

بالنسبة للعالم الغربي ، وجد معهد (جالوب) أن ثلث الأمريكيين يعتقدون بقينا أن الفضائيين قد زارونا .. هؤلاء الفضائيون رائقو المزاج يخطفون البشر ، لكن بعد أن يرسموا دوائر في المحاصيل ويمزقوا الماشية ..

ليس هذا فحسب .. إن مستوى الفضائيين الأخلاقي ليس شامخا للأسف ، لأنهم يغتصبون البشر بلا توقف .. هناك تقارير عدة عن اغتصاب البشر بوساطة كائنات فضائية ذات رءوس منتفخة ولون رمادي أو أخضر ..

تتكرر تفاصيل القصة كما يلي : فترة من النسيان ثم استعادة كل شيء تحت التنويم المغناطيسي .. الكل يحكي عن أجسام غامضة زرعها الغرباء في أجسادهم ، وكلهم يصف الغرباء بنفس الطريقة تقريبًا ..

ثمة طبيب نفساني من علماء (هافارد) كتب كثيرًا عما سمعه من مرضاه عن قصص الاختطاف هذه ، ولما كان مرضاه لا يعانون أية مشاكل نفسية (إذن لماذا هم مرضاه ؟) فقد وجد أن الحل الوحيد المريح هو أن هذه القصص حقيقية في مجملها !

يفسر معظم العلماء الجادين هذه القصص بالرغبة الدائمة لدى البشر في (السمو) .. الارتفاع إلى مرتبة أعلى .. إن تجارب الدنو من الموت والخروج من الجسد وتجارب الاختطاف بوساطة الغرباء تشترك في كونها تحمل الشخص إلى (أعلى) .. طبقًا موضوع المعاشرة مع الغرباء يدخل في نطاق الزواج من الجن في ثقافتنا ، وهي مجرد تعبير عن الكبت ويمكن تصنيفه تحت ما يسمونه (التفكير التواق wishful thinking) ..

* * *

تلقتها التاسعة مساء ..

وأنا أقف على الشاطئ الخالي في مرسى مطروح أنظر للسماء لأرى تلك الأجسام المضيئة ..

إذن أنا أواجه تجربة مع الـ UFO .. الأجسام الطائرة غير معروفة الهوية التي تؤرق الأمريكيين والعالم كله .. من الغريب أن ترى طبقًا طائرًا في مصر .. مصر أصلا لا تقع في النطاق الذي رسمه العلماء لهذه الحوادث .. الكويت مثلا تقع بوضوح ضمن هذا النطاق ..

التاسعة مساء موعد مواجهتي لحرف U .. فهل هو يتعلق بالأطباق الطائرة أم يتكرر الخداع المعتاد من الأخ (لوكيريو) ؟

يحلق هذا الجسم بلا انقطاع راسماً دوائر لا تنتهي .. ثم يغيب وسط الغيوم ..

يمتلئ أن أرى انعكاسه في مياه البحر المظلمة التي تصطرع فيها الأمواج ..

من المستحيل أن يمر هذا المشهد من دون أن يراه خفر السواحل أو تسجله أجهزة الرادار وتخرج السفن من أجل معرفة ما هو ..

هناك جسمان .. لو تركت العنان لنفسي لقلت إنهما يشبهان الأطباق فعلاً ..

لكن لا .. نحن لا نمزح هنا ..

أسمع صوت (ممدوح) من وراء ظهري يقول خلفه سمع الكاري :

ـ « أعتقد أن هذه الأشياء غير مرئية بالنسبة للرادار .. أنت تعرف تجربة الـ Degaussing البريطانية الخاصة على نزع مغناطيسية الأجسام ، وبالتالي يمكن التغلب على الاكتشاف بالرادار بالنسبة لوحدات السلاح .. لو كان البشر قد وصلوا لهذا فلماذا لا يصل له هؤلاء ؟ »

كان (ممدوح) مهتماً بالفيزياء .. إنه الشخص المناسب فعلاً للبلة كهذه ..

قلت له في إصرار :

ـ « هناك تفسير .. أعرف هذا يقيناً .. لا أصدق هذا الهراء عن سفن الفضاء التي تشبه أطباق الشاي .. إن المجلات المصورة في الخمسينات هي التي أهبت خيال الناس .. هناك زوجان زعما أن الأطباق الطائرة خطفتهما وأجرت عليهما تجارب ، ثم وجد أحد العلماء ذات التفاصيل التي حكياها في مجلة مصورة اسمها (باك روجرز) .. »

كنا ملذ نصف ساعة في فندق يطل على البحر وقد تهيأنا للخروج ..

المدينة الساحلية الجميلة شبه خالية لأننا في أكتوبر .. لقد رحل عنها الزحام والصخب ، والآن هي تتهيأ لشتاء طويل بارد .. أما لماذا كنت هناك فتلك قصة طويلة من قصصي التي لا تنتهي .. ليس هذا وقتها على كل حال ..

في غرفتي نظرت من الشرفة إلى البحر .. كتلة السواد الناعسة المرهقة .. فرأيت تلك الأجسام تحلق فوقه .. أجسام تتحرك بطريقة غير فيزيائية بالمرة .. طريقة لو رآها الفولجة (نيوتن) لجن جنونه وشد شعره .. طريقة لا علاقة لها

بالاحتكاك بالهواء أو قوانين القصور الذاتي أو بقاء كل جسم في خط مستقيم بسرعة منتظمة ما لم تؤثر عليه قوة تغير حالته ..

هنا رفعت سماعة الهاتف وطلبت (ممدوح) في غرفته ..

ـ « اخرج للشرفة بسرعة أيها المجنون .. انظر للبحر ! »

وقد فعل لأنني سمعته يصرخ في السماعة ..

سرعان ما كنا نركض على الشط ناظرين للسماء غير مصدقين ..

استمر العرض المبهر نحو عشر دقائق .. وقد خيل لي في لحظة بعينها أن المدينة تقيم أفراحا ما لسبب ما .. ربما تحتفل بالسادس من أكتوبر .. فقط نحن في آخر الشهر وليس أوله ..

* * *

ساد الظلام من جديد ، فتنهدت وقلت :

ـ « انتهى العرض .. »

قال (ممدوح) في انبهار :

ـ « لم نعرف ما كان هذا .. »

ـ « لن نقدر على إتيانه .. سنكون مجرد قصة حمقاء أخرى مما نسمعه كل يوم .. أعتقد أن علينا أن نحتفظ بهذا السر في ضمائرنا .. »

واستدرنا للعود ..

هنا خطر لي خاطر غريب ..

الرمال ليست بذات الملمس المعتاد .. هناك شيء غريب ..

رفعت عيني حيث كان الفندق فلم أره .. كان الظلام يمتد إلى ما لا نهاية ..

أين أضواء المدينة ؟

ـ « هل انقطع التيار الكهربي ؟ »

ـ « لا أظن .. الظلام ليس دامسا .. هناك أضواء من بعيد .. »

ـ « ماذا حدث ؟ »

توقف (ممدوح) ونظر إلى البحر المظلم خلفنا .. فكر قليلا ثم قال :

ـ « هل تريد رأيي ؟ لقد تغير كل شيء في عشر الدقائق التي وقفنا فيها نرمق هذا المشهد .. »

ونظر إلى ساعته ، وهمس :

ـ « إنها العاشرة صباح يوم الخامس من سبتمبر ! »

ما معنى هذا ؟ كنا في آخر أكتوبر وكانت الساعة التاسعة مساء ! .. هل عدنا بالزمن إلى الخلف ؟

قال لى وهو يبتلع ريقه :

ـ « أعتقد هذا .. بل أعتقد كذلك أن هذه ليست (مرسى مطروح) ! »

ـ « عم تتكلم ؟ »

نظر لى فى وحشية والتمعت عيناه ، وقال :

ـ « ألم تفهم بعد يا أصيل ؟ لقد تم اختطافنا فعلاً ! نحن الآن فى عالمهم ! الناس تتخيل أن الأمر يشبه ما يتم على الأرض .. تتوقف سفينة فضاء لينزل منها رجال أشداء يحملون زجاجة خلورفورم وخرقة يضعونها على أنفك .. ثم يحملونك بالقوة إلى مركبتهم حيث يقيدونك بالحبال ! نحن نتكلم عن فيزياء مختلفة .. هذه الأطباق كانت تحلق فوق المنطقة بحثاً عن عمقى يصلحون ومن الواضح أننا كنا كذلك ! »

قلت فى عصبية :

ـ « كف عن التخريف ! »

ـ « الانتقال تم دون أن نشعر وبطريقة فيزيائية نجهل عنها كل شىء .. نحن الآن هناك .. بصراحة قل لى .. هل تجد أى شىء مألوفاً من حولنا ؟ »

بصراحة لا . لكنى لن أعترف بهذا ..

تركته وهربت باتجاه الفندق ـ حيث كان ـ وأنا أصيح :

ـ « مجرد انقطاع التيار الكهربى لا أكثر .. أنت جننت فعلاً ! »

لكن الرمال كانت تذوب تحت قدمى .. كأننى أمشى فوق طبق من (الجيللى) .. وأدركت بوضوح أن الأفق يتلون بلون أخضر غريب .. نظرت للبحر من خلفى فلم أر إلا اللون الأسود .. الحقيقة هى أن كل ما كان مألوفاً حولنا قد تحول إلى فراغ .. نحن فى الفراغ حقيقة لا مجازاً ...

واصلت الركض ..

ثم توقفت ..

رأيتهم هناك فى بقعة من النور تتقدم نحونا ببطء ...

ثم أتبين ملامحهم .. لا أعرف من هم .. فقط أدرك أنهم هم ..

ونظرت إلى حيث كان (ممدوح) فلم أتبينه لأن بقعة من الضوء صنعها هؤلاء كانت تحيط به .. فقط سمعته يصرخ :

ـ « رفعت ..!.. لا تـ ... »

لا تـ .. ماذا ؟ لا أعرف بالضبط ..

ربما وجدت فيما بعد الوقت الكافي لفهم ما أراد قوله ..

لكن في اللحظة الحالية يتقدم هؤلاء نحوي فوق الأرض الثلجية الشبيهة بالجيلي ..

بعد ثانيتين سأعرف الحقيقة كاملة !

* * *

V

العاشرة مساء

أنا وسط الزحام أحمل تلك الكاميرا على صدري .. الأحراش .. حقول قصب السكر من بعيد .. المشاعل .. الطقس الحار ..

لو كانت حساباتي صحيحة ، فأنا سوف أواجه مصاص دماء Vampire .. لكن في هذا المكان ؟ لا توجد أية لمسة قوطية هنا ..

ثم لاحقت الجو الداخلي والوجوه السمر من حولي .. هذه جزيرة استوائية . لا شك فيها .. بعبارة أدق أنا في إحدى جزر الكاريبي .. لاحظ أنني أعرف هذا الجو جيدا وخضت فيه أكثر من قصة .. نحن لنتكلم هنا عن الفودوز .. لن يكون هناك مصاصو دماء الليلة للأسف ...

كما تعرف القصة التي حكيتها مرارًا ، هناك في ساحل أفريقيا الغربي كانت العقيدة الوثنية Vodou تمارس على نطاق واسع خاصة في (داهومي) و(النيجر) لدى الشعوب التي تتحدث اللغة اليوروبية . ثم جاءت تجارة العبيد .. كان أول مكان هبط فيه أولئك القادمون من أمريكا هو الساحل الشرقي لأفريقيا .. كان هذا بين القرن السابع عشر والثامن عشر ... لقد اصطادوا بعضًا

من هؤلاء البؤساء وحملوهم كالأنعام إلى أمريكا فى أقذر تجارة عرفتها البشرية .. هكذا استقر هؤلاء فى جزر الهند الغربية .. أول نقطة على الساحل الشرقى لأمريكا .. لم يتخلوا عن ديانتهم .. فقط مزجوها بالكاثوليكية ليتقون هذا الدين الغريب : الفودو .

طبعًا تتلخص عبادات هؤلاء القوم فى نوع من حفلات الزار .. إن حفلات الزار تذبح دجاجة تلطخ بها ثياب المرأة موضوع الزار والأمر يتكرر هنا .. حالة من الهستيريا العامة ثم تنتهى حالة الانجذاب بأن يصرخ أحدهم ويفقد وعيه .. نفس الشىء يحدث هنا ولكن يقال إن (اللوا) حلت بهذا الشخص ..

اللوا هى الروح الخيرة التى تسيطر على معتقداتهم هنا ..

هكذا أشق طريقى وسط الزحام .. مجرد سائح آخر يضيق الكاميرا فى عدسته بينما يتواثب الرجال والنساء فى المهرجان .. أشكر للأخ (توكيريو) أن أتاح لى فرصة هذه السياحة التى ما كنت لأقدر على تحمل نفقاتها من دون دعوته ..

امرأة سوداء لبست فى قميصا من واحدة سليمة تلتف إلى .. تهتف بصوت عال شيئا مثل :

ـ « أميستا مادارين .. »

فأهز رأسى موافقًا .. تكرر الكلمة عدة مرات ثم تذوب وسط الزحام ..

هناك سائح أمريكى يمشى مع أسرته جوارى .. ينظر لى ويبتسم .. يقول :

ـ « لابد من أن تمنحهم بعض الدولارات .. هذا شأنهم هنا .. »

لكنى لم أر قط من يتسول بهذه الطريقة المرعبة ..

هناك يقف السياح فى دائرة .. المشاعل فى المركز بينما يقف الأهالى حول ساحرتهم .. هناك نوعان من السحر .. النوع الذى يمارسه الساحر باليد اليسرى فقط وهو النوع الشرير من هذا السحر .. والنوع الذى يمارس باليد اليمنى وهو (اللوا) وهو شبيه بالسحر الأبيض . ذاهلة الفودو اسمها (ماميو) .

كانت ذاهلة شمطاء جدًا .. تذكرك كثيرًا بالأم (مارشا) صديقتى القديمة ..

أضواء الفلاش تلتمع بلا توقف .. أغلب السياح يصورون المشهد بكاميرات الفيديو ..

الساحرة تردد عبارات لا تنتهى وهى تتمايل أمامنا وخلفنا ..

تدريجيًا مع تكرار العبارات بدأ الواقفون يبدلون نوعًا من (الانجذاب) .. برزت دجاجة من مكان ما ذبحوها وراحوا يعثرون دمها على الواقفين .. وبدأ الرقص المجنون .. الرقص المحموم ..

الرقص الذى يقصد به إخراج النزعات المكبوتة .. بعد هذا سيكون الإنهاك وسيشعر كل واحد من هؤلاء بأنه غسل همومه وآلامه .. سيقول إن هذا بفعل السحر ..

لعبة نفسية بسيطة جدًا تعرفها كل كودية زار مصرية ..

رفعت الكاميرا إلى عينى ورحت أتقط بعض الصور ..

من المؤكد أن مغامرتى تتضمن مواجهة مع سحر الفودو لكن كيف ؟

هنا شعرت بمن يجذبنى من كتفى .. استدرت فوجدت فتاة أوروبية شقراء تنظر لى فى قداسة وتضع إصبعها على فمها .. تأمرنى بألا أحدث جلبة ..

لم أحدث جلبة يا فتاة فأنا لا أعرفك أصلاً ..

اقتادتنى خارج الزحام المجنون .. خارج الدائرة الراقصة ، وقالت لى بالفرنسية التى أتقنها بصعوبة :

ـ « أنا (ميشيل) .. »

ـ « تشرفنا .. وأنا (رفعت) .. »

عيناها الواسعتان الرماديتان تتكلمان .. تصرخان بلا صوت :

ـ « أنت فى مأزق .. أنا أزلف كتابًا عن سحر الفودو .. وقد سمعت المرأة تناديك بعبارة (أميستا ماداربن) .. معنى هذا أنك المختار للقربان فى هذا الحفل ! »

قلت لها فى حيرة :

ـ « الفودو لا يتضمن تقديم قرابين بشرية .. كل من درسوه قالوا هذا .. »

ـ « هم على الأرجح خطأ .. هذه الجزيرة تمارس تقديم القرابين البشرية فى عيد اكتمال القمر .. يجب أن تكون الضحية من خارج الجزيرة . وساحرتهم تعرف الضحية من بين الموجودين وتطلق عليها اسم (أميستا ماداربن) .. حاليًا كل الجزيرة تعرف أنك المختار .. »

ـ « وهل يلوون فتح يطنى أمام كل هؤلاء السياح ؟ هذا لن ينشط السياحة كثيرًا .. »

ـ « لا .. سيطلبون منك أن تقف فى دور تمثيلى مربوطًا لعمود الأضحيات .. وسط كل المرح والصخب سيحدث خطأ مؤسف .. سوف يطير خنجر ليمزق عنقك .. كل شىء متفق عليه . وهم يعرفون القتى الذى سيفعل ذلك وقد اعتبروه شهيدًا منذ هذه اللحظة .. قتل خطأ لا أكثر سوف يسجن من أجله بضعة أعوام لكنه سيصير بطلهم .. »

ابتلعت ريقى ..

ـ « وماذا أفعل ؟ »

ـ « بأى ثمن لا تقبل أن يقينوك لهذا المعبد .. »

ومدت يدها واقتادتنى بين الأشجار .. بين النخيل ..

من بعيد تسمع الصخب ودقات الطبول .. هناك بقعة نور تتوسط ساحة الجزيرة حيث الجميع هناك ، بينما نحن نركض فى الظلام والسكون مبتعدين ..

قالت لى وهى تلهث :

ـ « لا تحاول أن تعود .. تتفادى هذه الليلة .. قلت لك إن كل الجزيرة تبحث عنك الآن .. ربما أدفع ثمن معاونتى لك لكنى لا أقبل أن أرى عملية قتلك .. »

كان هناك نهير صغير .. وفوقه بيت خشبى تقف دعاماته فى وسط الماء ، بينما هو أقرب إلى جسر يطل على هذا .. طراز الـ Palo الشهير فى الجزر .. هناك مشعل على الباب ..

قالت لى وهى تصعد درجات سلم :

ـ « هذا مكانى .. سوف تقضى الليلة هنا وفى الصباح تكون فى أمان ، لأن الليلة المشهودة ستكون قد انتهت .. »

فتحت لى بابا خشبيا فوجدت نفسى فى كوخ مريح .. هناك مشاعل بالداخل مع عدة أصنام وثنية ..

ـ « معذرة .. فأنا أهوى جمع هذه التحف .. هذ راحتك .. »

دخلت الكوخ فجلست على الأرض .. ربما أنا أفسر أحمق فى التاريخ ، لكن يجب أن أصدقها .. أعرف أن مغامرة هذه الساعة تتعلق بالتوتمو .. إذن لدى كل الأسباب التى ترجح صدقها ..

ـ « سوف أعود لك بمجرد أن ينتهى الحفل .. حاول أن تنام قليلاً .. »

سوف أمضى الليلة هنا ..

هكذا مرت الساعات وأنا بين نائم ومتيقظ .. أتقبل العوض الذى اختلط بعرقى .. أنظر للمشاعل المتراقصة وأتخيل ما يحدث هناك فى ساحة الجزيرة ..

ثم سمعت تلك الحركات تعبث فى الباب فتوترت ..

رأيت الفتاة (ميشيل) تتسلل تقف فى ضوء المشاعل .. تنظر لى حيث جلست على الأرض .. تقول :

ـ « يالطبيع أنت جائع لم تأكل .. أحضرت لك بعض الفاكهة .. »

وألقت جوارى على الأرض ببعض الموز وفاكهة استوائية ما لا أعرف اسمها .. سألتها باسمًا :

ـ « لم يسأل أحد عنى ؟ »

ـ « كان هناك جو من الارتباك .. راحوا يرددون (أميستا ماداريون) ويبحثون هنا وهناك .. أعتقد أنك أفسدت عليهم ليلتهم الكبرى .. »

ـ « أنت التي أفسدتها لو شئت الحقيقة ... »

ـ « ليس بالضبط .. »

وهنا انفتح الباب .. ورأيت أمامي عشرة من هؤلاء القوم يلوحون بالخناجر والعصي .. في مقدمتهم تلك المرأة .. (الساشيو) .. تلبس الأسمال وتضحك كاشفة عن أسنان فضية قبيحة .. تلمع في ضوء المشاعل ..

وثبت واقفاً ، فقالت الفتاة (ميشيل) وهي تقضم إصبعاً من الموز :

ـ « أنصحك ألا تصعب الأمور على نفسك .. »

ثم التفتت لهم وقالت كلاماً كثيراً بلغتهم فوثب عملاق أسود ليقيد يدي إلى ظهري ، وقف خيلاً ليابًا بطريقة جعلتني أتأوه ألماً ..

قلت لها :

ـ « إن كنت تكذبين علي .. »

قالت في استمتاع :

ـ « لم أكذب .. هم فعلاً يريدونك (أميستا ماداريون) .. المختار للقربان .. تخيل تكون مجنوناً لو صدقت أنهم كانوا سيقتلونك في الساحة أمام كل هؤلاء السياح .. تقديم القربان البشري يتم بعد طقوس تحفل .. ويتم هنا في بيت الذاهنة ! .. هذا ليس بيتي لو كنت قد لاحظت هذا .. »

قلت لها وأنا أحاول فك قيدي :

ـ « وما مصلحتك أنت ؟ »

ـ « عندما تدرس موضوعاً ما لفترة من الأعوام فإن علاقة حميمة تنشأ بينك وبينه .. أنا أمتحهم أسرار البيض وهم يطلعونني على أدق طقوسهم . الطقوس التي لا يمكن أن يراها رجل أبيض .. هذا تبادل منفعة لا شك فيه .. أنا أزداد علماً وهم يخدعون من يريدون .. »

ثم أخرجت الكاميرا من جرابها ، وقالت :

ـ « للمرة الأولى سوف أرى مشاهد تقديم القربان البشري .. وهذا كله بفضلك .. لن تتصور أبداً حجم الخدمة التي قدمتها لي أيها الصديق العزيز ! »

كدت أرد لكن ضربة قوية على مؤخرة رأسي جعلت الظلام هو الذي يتولى الرد ..

* * *

المقابر ..

المشهد المألوف لكربه للشواهد التي تسبح في ضوء القمر .. قد يوحي بالرعب أو بالسلام النهائي حسب حالتك النفسية ..

تنظر لساعة يدك فتجدها الحادية عشرة مساء ..

أنت هنا مع د. (وليام مكدوجال) و(جون هارفورد) .. كلاهما يدرس الظواهر الخارقة للطبيعة .. كلاهما يعرفك جيداً وقد قابلاك يوم جئت إلى لندن ..

تذكر أنهما جاءا في المساء بينما طقس لندن الممطر يستحوذ بقبضته على كل شيء .. كأنما يحملان خطاب توصية من باحثة سكوتلندية تدعى (ماجي ماكيلوب) .. هكذا كان الاختيار لك ! كأنك يمكن أن تقول (لا) لـ (ماجي) ..

الأول وهو د. (وليام) هو الأكثر شيباً ووقاراً وخبرة .. قال لك :

ـ « سمعنا عن مغامرتك الغريبة مع (رواية السوداء) .. الساحرة التي أحرقوها فعادت للحياة ، لكننا اليوم نبحث في موضوع آخر .. »

قال الآخر الذي هو شاب وسيم نوعاً :

ـ « الويكا .. هل تعرف معنى الاسم ؟ »

بدا على الفتاء .. ربما بسبب إرهاق السفر .. فقال :

ـ « الويكا «Wicca» مصطلح نو جذور ألمانية معناه (الساحرة) .. إنه يرمز لنسوة ما زلن يعتنقن معتقدات عصور الوثنية .. بالنسبة لهن يعتبر العام كله عجلة لا تكف عن الدوران .. ومن هذه العجلة تخرج ثمانية أيام صيام .. »

قلت وقد تذكرت شيئاً مماثلاً :

ـ « مثل عجلة اليونيين الثمانية .. »

ـ « تقريباً .. »

ـ « من الغريب أن يتداخل الكثير من تلك الأيام مع الأعياد المسيحية المعروفة ، لكن تفسير هذا سهل .. لقد قامت المسيحية بأخذ هذه الأعياد لنفسها كي ينسى الناس أصلها الوثني .. لو أنك مصرٌ على الاحتفال بيلة وثني يوم الخامس من إبريل مثلاً ، فمن الأسهل أن تجعل العيد عيداً مسيحياً يتذكر بالإله الحق .. هذا ما حدث مع (الهالوين) الذي كان عيداً وثنياً للإله (ساوين) ثم حولته المسيحية إلى (ليلة جميع القديسين) .. »

تثاءبت ، وقلت :

ـ « كل هذا جميل يا سادة .. لكنني جئت من السفر حالاً ، وما زلت غير قادر على سماع محاضرات عن الأديان المقارنة .. ما المطلوب مني بالضبط ؟ »

قال د. مكدوجال وهو ينتقي كلماته :

ـ « هناك تقارير تتحدث عن اجتماعات للويكا في مقبرة غربي لندن .. هذا يتفق مع أعيادهم ذات الدورة الثمانية .. نحن نريد أن يكون معنا شاهد يرى ما نراه ويشاركنا الرأي .. ماذا يفعلن هناك ؟ من هن ؟ هذه أسئلة مهمة فعلاً .. »

قلت له وأنا أتمطى بلا لياقة :

ـ « ما دامت د. (مانيلوب) هي التي أوصت بي فلا مجال للاعتراض .. فقط أنا بحاجة لنوم عميق واعتبراني موافقاً .. »

* * *

لهذا تجدني الآن جوار شاهد القبر هذا في المقبرة ..

معنا كاميرا عالية الحساسية .. معنا جهاز تسجيل ..

يأتي د. (ويليام مكدوجال) و(جون هارتفورد) في الوقت المناسب .. الحادية عشرة مساء .. الساعة 23 .. أي موعدك

مع حرف W .. لقد اتضح الأمر هذه المرة .. اللقاء مع الويكا .. ساحرات شريرات بريطانيات يقطن شيئاً في المقابر ليلاً .. إن المقابر موحية على كل حال .. لو لم تتفق الساحرات هناك فأين يلتقين ؟

قال د. (مكدوجال) :

ـ « كل مقابر لندن تشهد ظواهر غريبة بدءاً بخاطفي الجثث وانتهاء بمن يزعم أنه مصاص دماء .. »

قلت له :

ـ « ثمة شيء مخيف في لندن .. لا أعرف ما هو .. ربما هو التراث الفلكلوري الذي تركه (برام ستوكر) و(سايفنسون) و(هـ . ج. ويلز) .. لكنك تشعر بأن كل شيء ممكن هنا .. »

تمضي الساعة .. ولا شيء يحدث ..

فقط الضباب البارد يحيط بك .. ضباب لندن له رائحة ما لا أستطيع وصفها ..

لو بدأت الأمطار تهطل فجأة لساء الأمر بما لا يقاس ..

قال (جون هارتفورد) وهو ينهض :

ـ « أعتقد أن الوقت قد حان لنقوم بجولة .. ربما كنا نقف في المكان الخطأ .. »

وقال (ماكدوجال) :

ـ « لا أعتقد أن احتفالاتهم ستتم سراً .. التقارير تتحدث عن صخب كبير .. »

قلت له وأنا أضم باقة المعطف على صدرى :

ـ « سوف أنتظر هنا ساعة أخرى .. لو لم تظهر الساحرات بعد منتصف الليل فى مقبرة فلا أمل فى ظهورهن .. »

لقد قمت بما يمليه علىّ ضميرى .. انتظرت فى الظلام والبرد ساعة وسأنتظر ساعة أخرى .. لكن لو كنت تطالبنى بالبقاء حتى الشروق فأنا آسف ..

كانت هناك بقربى عصا مغروسة فى التربة اللينة فأخرجتها .. تبدو لى كوند مذبب .. لابد أنها جزء من سور كان هنا فى الماضى ..

رحت أتسلى بقراءة اسم صاحب القبر الذى تتوارى جواره .. (مايكل موراى) .. توفى فى 8 أغسطس عام 1961 .. كلمات تأبين رقيقة .. أزهار جافة بللها المطر .. ترى كيف كان يبدو ؟ ماذا كانت أحلامه ؟ هل حلم يوماً بأن تتوارى جوار قبره فى انتظار اجتماع ساحرات ؟

هنا رأيت الظل الساقط على القبر ..

برغم البرد القاتم فالقمر يبعث ضوءاً شحيحاً من خلفى يسقط على شاهد القبر .. هكذا رأيت ذلك الظل .

استدرت بسرعة فوجدت د. (ماكدوجال) وقد صارت عيناه بلون الدم .. فمه مفتوح كاشفاً عن أنياب مستطيلة كأنياب الضوارى .. إنه واقف وقد رفع يديه فى وضع القضاض ...

كان يقصدنى أنا !

فهمت الآن !

كان يثب فوقى .. فى اللحظة التالية وضعت الطرف المذبب للوتد بينى وبينه وعرفت ما سيحدث .. الوتد غاب حتى منتصفه فى قلبه .. لم أكن أنا من يغرسه بل هو غرسه بثقله فى صدره وأمعن فى ذلك ..

صرخ من دون صوت وتدفق الدم من الجرح ..

سقط على بعد خطوات منى وانقلب على ظهره يحاول انتزاع الوتد بيديه . لكنى وثبت فوقه وأرجعت الوتد بعمق أكثر وعيناه لا تفترقان ..

فيما بعد سيكون علىّ أن أفسر موقفى أمام شرطة لندن .. لكن لا وقت الآن إلا للبقاء حيًا ..

وحدى فى المقابر مع مصاص دماء ، لكن الوتد قد وجد طريقه لقلبه .. لن ينجو منها ..

الآن أفهم ما حدث .. يبدو أن قصة دراكيولا كانت مجرد مقلب لخداع ماجي وخداعي .. استراجي وحيدًا للمقابر .. المغامرة كانت مع حرف W فعلاً ، لكن هذا الحرف يرمز للفامفيري Wamphyri أي مصاص الدماء بالرومانية .. إن الألمانية وأغلب لغات أوروبا الشرقية تحيل الـ W إلى V في النطق .. أعتقد أن هذا هو التفسير الوحيد ..

الآن هدأت حركته ..

الآن صار جثة .. سوف يعود إن لم يتم حشو فمه بالثوم وقطع عنقه ، لكني غير متحمس لهذا كله .. فليقم به سواي .. سوف أكون غدًا في مصحة أمراض عقلية بريطانية على الأرجح ..

سمعت زميله قادمًا من الخلف ..

استدرت له .. ثمة احتمال لا بأس به أن يكون مصاص دماء هو الآخر .. لكني لن أستطيع انتزاع الوتد من صدره (ماكوجال) ..

كان قادمًا وهو يسلط الكشاف علينا .. هتف في رعب :

ـ « ماذا حدث ؟ »

قلت وأنا أنهث :

ـ « أرجو أن تتفحص فمه وأسنانه لتوفر عليّ مجهود الشرح .. »

وابتعدت عدة خطوات ..

رأيته يجثو جوار القتيل الداسي .. يفتح فمه .. ثم شهق وهو يتحسس الأسنان الحادة كالإبر .. وهمس :

ـ « لهذا كان لا يظهر إلا في الليل .. أعتقد أنه أراد استدراجنا معًا .. »

ـ « أو استدراجي لأكون وحدي معكما ! »

استدار لي ضاحكًا فعرفت أنني كنت محقًا ..

رأيت الأنياب الحادة والعينين الحمراوين .. هذه المرة أنا في مأزق غاية في السوء .. لا أتوقع ذات الحظ الحسن .. هذا الفتى أصبى وأقوى .. دعك من أنه رأى كيف هلك زميله ..

قال لي وهو يتقدم نحوي وأنا أتراجع :

ـ « لم يكن الأمر يتعلق بحرف W .. بل كان يتعلق باثنين من حرف V .. أنت تعلم أن حرفW يبدو كأنه حرفا V متلاصقان[*] .. معنى هذا أن هناك اثنين من الـ Vampire .. اثنين من مصاصي الدماء .. قضيت أنت على واحد فماذا عن الآخر ؟ »

كنت أتراجع بظهري نحو سور المقبرة عارفًا أن لحظة التماس قادمة ..

لا مزيد من التراجع ..

[*] من ناحية الرسم فقط ، لأن الغربيين يعتبرون حرف W حرفين V متلاصقين ويسمونه الـ Double V .

لديه الوقت كله ..

لن تكون هناك مرة قادمة أتذكر فيها أن حرف W يبدو كأنه حرفا V متلاصقان ..

هذه من الدروس التي لا تؤتي أكلها أبدا !

* * *

X

منتصف الليل ..

لا توجد طريقة أعرفها لتفاهم مع الصينيين إلا عن طريق (وان - هو - فاتنج) الدليل الذي يرافقني في هذه الرحلة الغريبة .. وهو رجل في الخمسين من العمر متتع يبدو أنه عميق الخبرة بهذه الأمور .. وكعادة الصينيين لم تترك التجاعيد / الأخاديد بقعة على جلده لم ترتسم عليها رحلة عمره المضنية ..

نحن في موضع ما من جنوب الصين .. ربما نحن قريبون من (لاوس) جدا ..

نحن في الجبال .. حيث التفاهم عسير بسبب نقص الأكسجين ، وحيث البشر يفتقدون عظامك ذاتها .. من حولك الحمالون والدليل الصيني .. كثيرهم ..

لماذا أنا هنا ؟ الأمر هين .. لأن (لوكيريو) اختار لي أن أكون هنا ..

منتصف الليل .. يبدو أن لي لقاء مع كابوس صيني يبدأ بحرف X .. لكن ما هو ؟

www.liilas.com/vb3

على قدر علمى لا أعرف أى كائن يبدأ بهذا الحرف ، ما عدا المخلوق X الذى وصفته إحدى العالمات فى(كهايا) .. مجرد كائن آخر من تلك الكائنات التى هى خليط من قرد وإنسان والتى تمج بها كتب الظواهر الغامضة .. شوهد فى مرتفعات كذا .. وجدت صورته على جدران كهف كذا .. التقط له المستكشف فلان صورة غير واضحة ..

هكذا .. لا تصل لحل أبدًا ..

على كل حال لا داعى للسخرية ؛ لأننى أعرف يقينًا أنها حملة استكشافية ما .. غالبًا نحن نبحث عن كائن مشابه ..

ولكن ..

لماذا يلبس الرجال جميعًا هذه الأكمام المستعارة المصنوعة من الياميو ؟

قال لى (وان ـ هو ـ فاتح) بالإنجليزية التى يجيدها :

ـ « يحب (خويرين Xueren) أن يقبض على الناس من أذرعهم .. يقال إن هذا يسبب له فرحة غامرة .. والفرحة قد تبلغ به مبلغ أن يفقد وعيه للحظة ، ثم يفيق ويلتهمهم !.. هكذا تقول الأسطورة ! »

قلت فى غيظ :

ـ « مسخ يفرح بالقبض عليك لدرجة أنه يفقد وعيه .. ألا ترى هذا سخيفًا ؟ »

قال دون أن يلبهم الدعابة :

ـ « هذا ما تقوله الأسطورة .. عندما يقبض على ذراع المسافر فإنه يفقد وعيه فرحًا.. هنا ينزع المسافر ذراعه من أسطوانة الياميو ويفر .. »

ثم نوح لى بأسطوانة ، وقال :

ـ « هل تلبس واحدة ؟ »

بالطبع لا ..

حسب كلامهم فإن الخويرين كائن آخر مزيج من قرد وإنسان .. تصفه الكتابات الصينية منذ 2000 عام .. يمشى على قدمين ويغطيه فراء بنى ، بينما ارتفاعه حوالى مترين .. له علامات أقدام مميزة جدًا هى التى نفتقدها الآن فوق التربة البنية ..

* * *

منتصف الليل .

ونحن جالسون حول النار فى ذلك المخيم .

(وان ـ هو ـ فاتج) ليس هنا .. أعتقد أنه يقضي حاجته أو يتفقد منطقة الأشجار المحيطة بنا .. لا خوف عليه من لقاء (خوبرين) فهو الطير الحقيقي بالقفص من بين كل الأكاذيب المتناثرة حول هذا الموضوع ..

أرمق وجوه الصينيين المتفضلة العجوز من حولي.. منهم من يدخن الغليون ومنهم من يشرب الشاي شارد الذهن .. وجوه تبدو في اللهب كأنها تشتعل ..

يتكلمون فلا أفهم ما يقال .. من السهل أن تصاب بالبارانويا في جو كهذا .. حتى دعابتهم يستحيل أن تفهمها وتبدو لك سمجة .. لهذا أدفن رأسك بين كفيك وأدفن عينيك في النيران ..

فجأة يتعالى صراخ ما من وراء المرتفعات ..

يهب الجميع على أقدامهم ويتصايحون في دهشة ..

فجأة يبرز (وان ـ هو ـ فاتج) من مكان ما .. يصيح فيهم بالصينية من ثم يحمل كل واحد منهم بندقيته ويهرع بعيدا ..

ينظر لك (وان ـ هو ـ فاتج) ، ويقول :

ـ « واحد من الرجال ممزق بين الأشجار .. لا نحتاج إلى إجراء تحقيق لمعرفة من قاتله .. إن ذراعه مهشمة كأن هناك من كان يمسك بها بقوة .. »

نهضت مذعورًا ، فقال لي :

ـ « لا داعي .. الرجال سيأتون به هنا .. أعتقد أنه (شانج لي) .. »

يتوارى الرجال بعد ما وضعوا تلك الأسطوانات حول أذرعهم ..

ساد الصمت .. فقط صوت النيران المضطرمة والتوتر في الأحشاء ..

أسأل (وان ـ هو ـ فاتج) :

ـ « هل تعتقد أنه هاجمه منذ زمن ؟ »

ـ « ربما .. »

بعد قليل يعود الرجال وهم يحملون البقايا ملفوفة في حزام أحمر فلا تعرف إن كان ملوثًا بالدم أم لا .. هذا إذن ما فعله الخوبرين ..

وضعوها جوارنا فنهضت واحضرت الكاميرا .. يجب أن أتعامل بقدر كبير من الكياسة فربما ضايقهم أن التقط صورًا لجثة زميلهم ..

ربما كانت أمكن من تصوير طقوس وداع الميت .. هل هم بوذيون أم كونفوشيوسيون أم هم ـ ببساطة ـ ملحدون ؟

نظرت لوجه (وان ـ هو ـ فاتج) المتفضل متسائلاً فهز رأسه أن افعل ..

بدأت تشغيل الكاميرا مكتفيًا بضوء اللهب الخافت المتراقص والرجال يتناقون حول الجثة .. هنا ظهر الوجه الميت ..

هذا الرجل لا يمت للحملة بصلة .. لم أره من قبل قط ..

في اللحظة التالية مد أحد الرجال يده وانتزع قطعة كبيرة من جسد الميت وبدأ يلوكها .. وعلى الفور انقض الباقون على الجثة !

رفعت الكاميرا عن عيني لأنني لم أصدق ما رأيت عيناي .. أردت أن أرى هذا مباشرة ..

ونظرت في رعب إلى (وان ـ هو ـ فاتيج) ..

قال لي وهو يبتسم :

ـ « عشاء بسيط أعددته للرجال .. لاحظ أنهم لم يتناولوا العشاء بعد ...!.. هذا الرجل كان يبحث في المنطقة عن (خويرين) .. »

وثبت للوراء لأبتعد عنه لكنني وجدت يده تطبق على ساعدي كأنها ملزمة ..

ـ « ليس بهذه السرعة .. »

ورفع القلنسوة عن رأسه فرأيت أن رأسه مغطى بالشعر بالكامل .. معظم وجهه .. هذا ليس بشرًا .. لم أتبين هذا إلا الآن ..

قال وهو يطبق على ساعدي بقوة :

ـ « أنت لا تعرف عنا أي شيء على الإطلاق .. فقط تفاوضت مع مسئول حكومي فرتب لك هذه المجموعة من سكان الجبال .. ألم يخطر ببالك أننا عشيرة من (الخويرين) ؟ »

حاولت التملص لكن قبضته كانت قوية جدًا ، وأردف قائلاً :

ـ « لهذا لم ير أحد (الخويرين) قط .. لأن الخرافات تحيط بهم وكل هذا الكلام الفارغ .. يبحث الناس عن فرد عملاق يشبه (المي جي) ، بينما نحن لا نختلف عن البشر كثيرًا كما ترى ، فيما عدا الشعر الذي يغطينا بالكامل ومنظر أقدامنا .. هذه الآثار هي التي جلبت لنا الكثير من الفرائس البشرية .. ذكاؤنا مثلهم إن لم نكن أذكى .. لهذا ظل سرنا خفيًا طيلة آلفي عام .. »

في اللحظة التالية وجدت نفسي على الأرض ..

صوت اللطم على بعد خطوات ـ الخوار ..

وجوه الحمالين الغريبة المخيفة ..

الليل ..

اللهب ..

نعم هو منتصف الليل .. لقائي مع (الخويرين) ..

ليسوا واحدًا بل عشيرة منهم .. ورئيسهم يتكلم الإنجليزية !

إن الكثير من المرح ينتظرني ..

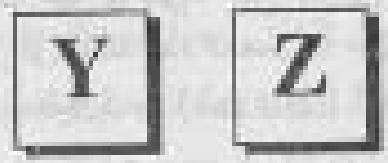

لقد مر منتصف الليل وجربت الحرف رقم 24 في الساعة رقم 24 ..

الآن لا توجد ساعة خامسة وعشرون .. هل ستكون الدورة من جديد مع مسخ يبدأ اسمه بحرف A ؟

أعتقد أن هذا صحيح .. لكن هذا يفي تناقضا لا بأس به مع منطق اللعبة .. يجب أن أواجه وحشا يبدأ بحرف Y .. لو واجهته لكان معنى هذا أن اليوم 25 ساعة ..

اللعبة تتنهم نفسها ..

لكن لا أعتقد أن (أوكيربو) لم يفكر في هذا ..

لست متأكدا لكني أعتقد أن الباب الخلفي تتفرع بيدأ من هنا ..

لا أصدق أنني سأجرب هذا كله مرة أخرى ..

من الواضح طبعا أنه لن يستعمل ذات المسوخ .. سوف يستعمل مسوخا أخرى تتم عن تنوع لقوى ممتاز .. ربما في الواحدة صباحا أقابل (أبراكساس) وفي الثانية أقابل (بهيموت) أو (بعلزبول) .. واضح أنه من الممكن أن تتم مغامرتي هذه بذات القواعد على مدى ألف يوم آخر ..

لقد جربت الموت بكل تفاصيله في 24 مغامرة تقريبا ـ ما عدا مرات الغش التي قمت بها ـ لكني لم أمت .. بالفعل اشتهيت الموت في كل مرة ولم يأت ..

سوف يتكرر هذا حتى يدفعني إلى الجنون وربما الانتحار ..

يجب أن أفكر بعمق .. يجب ..

* * *

« قال إنك حاولت خطف صنمهم وأهنته بالكامير! .. لذا سيقوم هو بخطف روحك .. يقول إنك ستتعذب بعدد ساعات اليوم في دهاليز الكوابيس ومع الأبجدية .. وأنك ستشتهي الموت فلا تناله .. »

* * *

هكذا قال الساحر ..

هل أستطيع أن أحاول استمالته ؟ ربما لو سافرت إلى كينيا من جديد و..

هل سخيف طبعا .. لن أستطيع عمل شيء وحدي .. دعك من أن ذهابي بقدمي إلى أراضي التوركانا هو انتحار .. ربما كان من الأسهل أن أفعل هذا هنا والآن فهذا يوفر النفقات والجهد ..

الكامير! !

يجب أن أقوم بتحميض الفيلم .. كنت أكره هذا لكنى أعتقد أنه سيلقى ضوءاً على الموقف ..

هل يمكن أن أجد ستوديو تصوير فى ساعة كهذه ؟

ربما لو جبت المدينة بسيارتى .. من حسن الحظ أن آلات الطبع الفورى كانت قد دخلت مصر فى هذا الوقت .. استلم فيلمك بعد ساعة .. هذا يجعل الأمور ممكنة ..

هكذا انطلقت جريًا لأخرج سيارتى من المرآب فى هذه الساعة المتأخرة من الليل أو المبكرة من صباح الغد ..

رحت أجوب الشوارع وعيناى تبحثان فى كل صوب ..

هناك كان ذلك الستوديو .. عرفته من أضوائه الشهيرة وإعلانات الأفلام الضخام الموضوعة أمام واجهته .. طبعًا .. ستوديوهات التصوير تسهر طويلاً لارتباطها بحفلات الزفاف .. كيف فاتنى هذا ؟

اندفعت إلى الرجل الجالس خلف الكاونتر والذى بدا عليه الملل . لأقول له متوسلاً إننى أرغب فى أن أطبع هذا الفيلم الآن ..

نظر لى فى دهشة وأبدى اعتذارًا .. ربما يمكن أن يعيده لى غدًا .. لكنى أخرجت رزمة مال ووضعتها أمامه .. بدا له إننى يائس أو مجنون ..

ـ « ليكن .. انتظر ربع ساعة .. »

هكذا نهض ودخل غرفة جانبية ليبدأ تشغيل آلة الطباعة ..

جلست متوترًا أنتظر والكاميرا الفارغة فى يدى ..

ما الذى أتوقع أن تثبته لى الصور ؟ لا أعرف .. لكنه نوع من الحدس الداخلى .. علىّ أن أستغل فترة الهدنة القصيرة هذه ..

بعد وقت طال عاد لى حاملاً مظروفًا مكتنزًا ، وقال لى :

ـ « هل هذه الصور فى أفريقيا ؟ جميلة . جميلة .. »

قلت مصححًا فى إرهاق :

ـ « لا تنس أن أية صورة تأتيك هنا إنما التقطت فى أفريقيا ! »

ذات الخطأ الذى تكرره عندما يقول المرء : سأذهب لمصر ! الحقيقة أنه فى مصر فعلاً .. ما يعنيه هو القاهرة ..

ورحت أقلب الصور بسرعة .. كلها صور من ذلك المؤتمر اللعين .. صور لمحميات كينيا .. ثم ..

صورة الصنم الذى وضع قبعة على رأسه ..

بعدها فوجئت بصورة الساحر الأفريقى المخيف يقف بينى وبين الصنم !

لقد كان جهاز التوقيت مبرمجًا لالتقاط صورتين .. وعندما داهمتني الساحر وأفرغ علي التقطت له الكاميرا صورة ثانية ..

إن هذا قد يفتح الطريق لحل ثوري للمشكلة ..

« قال إنك حاولت خطف منتهم وأهنته بالكاميرا .. لذا سيقوم هو بخطف روحك"

« يقول إنك ستتعذب بعد ساعات اليوم في دهاليز الكوابيس ومع الأبجدية .. وأنك ستشتهي الموت فلا تناله .. »

خرجت من المحل ووقفت على الرصيف المظلم ..

هناك صوت دبيب .. دبيب يهز الشارع هزًا ....

رفعت عيني لأنظر إلى بقعة الظل الكائنة في آخر الشارع ..

عرفت على الفور كله هذا الذي يقترب ..

يثقب السيارات .. يهشم واجهات المنازل .. يزأر .. ينظر لأعلى .. يضرب صدره .. يتقدم .. لولا أن المدينة شبه خالية لأثار هلعًا لا يوصف ..

إنه رجل الثلوج .. اليتي Yeti ..

هنا في القاهرة .. هل يبدو هذا غريبًا ؟ ومتى رأيت شيئًا غير غريب في هذا كله ؟؟

لقد بدأت القصة الثانية .. القصة التي بدأ خطها بحرف Y ..

من الواضح أنني سأموت على يد اليتي .. بعد هذا ربما أواجه هجومًا من الزومبي الذين يمشون يترنحون في شوارع الدقي .. وبعدها يكون الوقت قد جاء للمغامرة مع حرف C .. فحرف D .. إلخ ..

لم يجد (لوكيريو) حلاً سوى هذا لتلافي مشكلة عدم تطابق الأبجدية مع ساعات اليوم ..

كان الشيء يقترب مني ..

لم تتضح ملامحه بعد لكني أتوقع كيف ستكون ..

في هدوء مددت يدي إلى الصور وأخرجت صورة الصنم وصورة الساحر ..

أشعلت القداحة ووضعتها تحت الصورتين ..

اللهب يتعالى ..

إن لوكيريو كان يؤمن أن الكاميرا تسرق الأرواح .. ربما عرف أن صورته معي .. ربما لم يعرف .. في جميع الأحوال هو سجين عندي بمنطقه وقد قررت أن أحرق الصورة ..

بهذا أقضي عليه أو أحرره .. لا أعرف بالضبط ..

وصحت من بين أسنانى :

ـ « لوكيريو أيها الثعلب العجوز .. أنا أطلق سراحك .. فأطلق سراحى .. »

الصورة تحترق .. أرى وجهه القبيح يتلوى كأنه يحترق بالفعل ..

ذلك الشىء ما زال يقترب ..

النار تتعالى ..

إنه يقترب ..

الصورة تتجعد وتتفحم ..

إنه يزأر ..

ثم فجأة ساد الصمت ..

لم يعد هناك سوى وسوى الرماد الساخن يحترق أمامى .. وسوى الرصيف الخالى وسوى الظلام وسوى الأضواء المنبعثة من الستوديو المسهران .. وسوى صاحبه وهو يهرع للخارج مذعورا ليسألنى عن سبب هذه الضوضاء ..

قلت له :

ـ « لا شىء .. لص حاول أن يسلبنى مالى لكنه اختفى عندما سمع صوتك .. »

نظر للصورة المتفحمة فى يدى ، وهتف :

ـ « لماذا أحرقتها يا سيدى ؟ .. ألم ترق لك ؟ »

ـ « بل هى مثقلة أكثر من اللازم .. ومن عادتى أن أتخلص من الصور المثقلة لأنها تخيفنى .. أشعر بأنها تحبس روح الناس فيها .. »

وابتعدت دون كلمة أخرى متجهة إلى سيارتى ..

أدرت المحرك وتنفست الصعداء ..

لو لم أحمض هذا الفيلم كما اعتزمت ، لما استطعت الخلاص من هذه الليلة ..

أعتقد ـ وأرجو أن أكون على حق ـ أن هذه هى نهاية الأبجدية ..

رفرف فى سلام أيها اللعين (لوكيريو) ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

تمت بحمد الله